الفصل السادس

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية والعمرانية في الإمارة الكسادية

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الكسادية:

أولاً: الزراعة:

أ- التربة. ب- المحاصيل الزراعية. ج- نظام الري.
د- الأدوات الزراعية:
١-المحراث. ٢-القدوم. ٣-المغرفة. ٤-المنجل. ٥-الماهي. هـ- علاقات الإنتاج الزراعية.

ثانياً: الصناعات والحرف اليدوية:

أ- صناعة الغزل والنسيج (الحياكة). ب- صناعة مواد البناء.
ج- صناعة استخراج الزيوت. د- صناعة بناء السفن.
هـ- الدباغة والمصنوعات الجلدية. و - حرفة الصيد وتجفيف الأسماك.
ز- حرفة الصياغة. ح- حرفة الحدادة والنجارة.

ثالثاً: التجارة:

أ- الموانئ التجارية في الإمارة الكسادية:

١- ميناء المكلا. ٢- ميناء الحامي. ٣- ميناء شرمة. ٤- ميناء القرن. ٥- ميناء بروم .

ب- التجارة في الإمارة الكسادية: ١- تجارة الرقيق. ٢- الأسواق التجارية. ٣- العملة. ٤- النقل والمواصلات.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية في الإمارة الكسادية:

أولاً: التركيب الاجتماعي:

أ) السكان. ب) الفئات الاجتماعية في الإمارة الكسادية:

١- السادة العلويون. ٢- المشايخ. ٣- القبائل. ٤- الجنود.
٥- القرار. ٦- المساكين. ٧- الضعفاء. ٨- العبيد. ٩- الصبيان.
ج- التعليم. د- الصحة.

ثانياً: العادات الاجتماعية في الإمارة الكسادية:

أ- العادات القبلية:

١- اللوم والشوم. ٢- الوجه. ٣- العربون. ٤- الوثور .

ب- الرقصات الشعبية في الإمارة الكسادية:

١- رقصة الغية. ٢- رقصة الشبواني. ٣- رقصة الدحيفا .
٤- رقصة الدربوكا. ٥- رقصة الكاسر.

ج- الأغاني الشعبية في الإمارة الكسادية:

١- أغاني المشعال والكمبورة. ٢- أغاني التكوير .
٣- أغاني الطلوع إلى البحر. ٤- أغاني العودة من البحر .
٥- أغاني التجلوب. ٦- أغاني السناوة .

المبحث الثالث: المظاهر العمرانية في الإمارة الكسادية:

أولاً: التطور العمراني في مدينة المكلا .

ثانياً: التطور العمراني في قرية الحامي .

ثالثاً: أبرز المظاهر العمرانية في الإمارة الكسادية:

أ- المساجد. ب- القصور. ج- القلاع والحصون والأسوار.

المبحث الأول

الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الكسادية

أولاً: الزراعة:

أ) التربة:

تعتبر أراضي الإمارة الكسادية من المناطق الوعرة القاحلة باستثناء وادي دوعن وبعض الواحات الصغيرة كالبقرين، والحرشيات، وثلة باعمر، وفوة، والديس الشرقية، والحامي[١].

وتسود التربة الرملية في المناطق الساحلية من الإمارة الكسادية، ولم تكن المياه فيها عذبة بالشكل المطلوب للزراعة والشرب[٢]، وفي وادي دوعن توجد التربة الغرينية الصالحة للزراعة، ولكن الأراضي الزراعية فيها محدودة نتيجة لضيق عرض الوادي، وكانت المساحات الزراعية في عهد الإمارة الكسادية محدودة ولم يتم استغلالها بالشكل المطلوب لتلبية حاجة سكان الإمارة من المواد الغذائية، حيث كانت الزراعة لا تفي إلا بربع حاجة السكان من المواد الغذائية مما دفعها إلى الاعتماد على الاستيراد من الخارج[٣].

---

(١) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٢.
(٢) ثابت ويوسف: استخدام الأرض في حضرموت، المرجع السابق، ص٦.
(٣) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٢.
باوزير: أحمد عوض، حضرموت ما بين الحربين العالميتين (الواقع السياسي =

ب) المحاصيل الزراعية:

لم تختلف المحاصيل الزراعية في الإمارة الكسادية كثيراً عن غيرها من المحاصيل الزراعية في بقية مناطق حضرموت، ومن أشهر المحاصيل الزراعية التي كانت فيها هي التمور، والحبوب، والتمباك، والدخن، والأعلاف، والخضروات، والسمسم، ويزرع معظمها في فوَّة، والحامي، والديس الشرقية، ودوعن، وفي بقية ضواحي مدينة المكلا كالحرشيات، والبقرين، وثلة باعمر، والعيص(١).

ج) نظام الري:

اعتمدت الإمارة الكسادية في ري أراضيها الزراعية على مصادر مياه مختلفة منها مياه الأمطار والسيول التي كانت تتدفق من المرتفعات الجبلية إلى الأودية والواحات التابعة للإمارة الكسادية مثلها مثل بقية مناطق حضرموت، إلا أن المردود الإنتاجي من نظام الري لا يساوي الجهد المبذول في عملية الزراعة مقارنة بالأراضي الزراعية المروية بالمياه الجوفية ومياه المعايين والعيون(٢).

= والاجتماعي والاقتصادي والثقافي) بحث مقدم إلى الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية، كلية التربية، المكلا، ١٩٨٩ م، ص١٩.

(١) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٦٩. البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق ص١٩٩، ٢٠٠. باشعيب: محمد صالح، الصيق وجهود الأوائل، مجلة (خلفة) العدد (٣) مايو ٢٠٠٩م، ص١٠.

(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٨٩.

وتعتبر مياه العيون من مصادر الري الرئيسية للأراضي الزراعية في الإمارة الكسادية، كما أنها المصدر الرئيسي لمياه الشرب في المناطق الاستيطانية، ويطلق عليها في حضرموت بـ(المعايين) وأحياناً تسمى (الغيول)[١]، وتنتشر المعايين في الإمارة الكسادية في قرية الحامي وتنبع المعايين من الجبل الجيري الواقع في الشمال الشرقي للحامي[٢]وهي من المياه المعدنية التي يستفاد منها في معالجة بعض الأمراض، وفي ري الأراضي الزراعية حيث توجد في قرية الحامي العديد من المعايين منها معيان الروضة، ومعيان باحميد، وعين أبو سالم، وعين معيان علوي... إلخ، وكان معيان الروضة ملكاً للكساديين[٣].

كما يوجد في الديس الشرقية أيضاً عدد من المعايين منها معيان الصيق[٤]، وعين صويبر، وثوبان، وتتميز مياه المعايين في الديس الشرقية بأنها معدنية وترتفع فيها نسبة المواد الكبريتية مقارنة مع غيرها من المعايين في المناطق الأخرى، حيث يستفاد منها في علاج الأمراض الجلدية وري الأراضي الزراعية.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٦.

(٢) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٣) علي: علي حسن، والملاحي: عبدالرحمن عبدالكريم، الصراع الحموي القعيطي، بحث مقدم إلى الندوة التاريخية حول المقاومة الشعبية بحضرموت، كلية التربية، المكلا، ١٩٨٩م، ص٥٥. باهارون: محمد علوي، شذرات من تاريخ الحامي، مجلة (الساعية)، العدد (١٢) يوليو ٢٠٠٩ م، ص١٢.

(٤) باشعيب: الصيق وجهود الأوائل، المرجع السابق، ص١٠.

أما الري بمياه الآبار الجوفية فيتم بإخراج المياه من الآبار بواسطة الإنسان والحيوان وتعرف هذه الطريقة في حضرموت بـ(السناوة)[١]، ويستعمل فيها دلوان من الجلد مربوطين بحبل يمر على عجلة خشبية يقوم الإنسان والحيوان بجر الحبل فيرتفع الدلو ويصب الماء في بركة صغيرة، ومنها يتوزع إلى الأرض عبر قنوات صغيرة، وتعتمد كمية المياه المستخرجة من الآبار على الجهد الذي يبذله الإنسان والحيوان في رفع الماء من البئر[٢].

د) الأدوات الزراعية:

كانت وسائل الإنتاج الزراعية بدائية وتعتمد على العمل اليدوي وعلى الحيوانات[٣] مثل الحمير والأبقار والجمال، وكانت الأدوات الزراعية المستخدمة في حراثة الأرض هي:

١- المحراث:

وهو أداة خشبية مثبت في رأسها أحياناً قطعة من الحديد تغرز عند الحراثة في الأرض بعد ربط المحراث بالحبال في جسم الحيوان الذي

---

(١) الصبان: عبدالقادر محمد، الفلاحون وعاداتهم المهنية، مطبوع بالإستنسل، سيئون، ١٩٨٣م، ص٣٠.

(٢) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٦٥. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٨١.

(٣) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٩١. إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٦٤.

غالباً ما يكون ثور أو جمل أو حمار، ثم يضع الفلاح قدميه فوق المحراث لغرزه في الأرض، ويعمل الحيوان على جر المحراث لشق التربة وقلبها من أجل وضع البذور تحتها.

٢- القدوم:

وهو عبارة عن قطعة من الحديد يقل وزنها عن الكيلو جرام قليلاً، ولها رأس مدبب، وفتحة في طرفها الآخر، يتم فيها تثبيت عود قوي من الخشب، ويستخدم القدوم في الحفر وتفتيت أكوام الطين، يطلق عليه في حضرموت أيضاً اسم (المزحاة) .

٣- المغرفة:

وتسمى (الجاروف) وهي أداة تستخدم لتسوية الأرض، وتتكون من عصا خشبية مركب في أحد طرفيها قطعة من الحديد مربعة أو مستطيلة الشكل، وهي أكبر من حجم القدوم .

٤- المنجل (الشريم):

وهو عبارة عن سكين صغير مقوسة ومسننة، ولها يد خشبية، وتستخدم غالباً في قطع غصون الأشجار والحشائش الأخرى التي من حولها في مواسم الحصاد[١] .

٥- الماهي:

وهو أداة مصنوعة من الخشب قاعدتها مستطيلة ويرتكز عليها

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الإجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص ٩١.

عمود من الخشب، وترتبط قاعدتها بحبل في طرفيها، ويستخدم الماهي لتسوية الأرض الزراعية وتقسيمها إلى مربعات أو مستطيلات تساعد في ريها بالمياه.

هـ) علاقات الإنتاج الزراعية:

كانت معظم الأراضي الزراعية الخصبة في الإمارة الكسادية ملكاً للفئات العليا في المجتمع ومنها الأسرة الكسادية والأسر الغنية والأرستقراطية الدينية وزعماء القبائل، وكان بعض الفلاحين يملكون قطعاً صغيرة من الأراضي الزراعية.

ولا توجد إحصائيات عن حجم الملكية الخاصة بالأرض في تلك الفترة، ولكنها كانت ملكيات محدودة بحكم صغر مساحة الإمارة الكسادية وقلة الأراضي الزراعية فيها، ولذلك فإن من الصعوبة بمكان الحديث عن النظام الإقطاعي أو شبه الإقطاعي في الإمارة الكسادية.

وكانت علاقة الإنتاج الزراعية في أراضي الإمارة الكسادية تقوم على أساس نظام المحاصصة المعروف في حضرموت وغيرها من المناطق الأخرى، حيث كان مالك الأرض المعروف باسم (الطبين) يؤجر الأرض للفلاح مقابل تقسيم المحاصيل الزراعية بنسب معينة فيما بينهم تخضع للزيادة والنقصان تبعاً لخصوبة الأرض وموقعها ونظام الري فيها وقوة مالك الأرض نفسه، أما ملّاك الأراضي الزراعية الصغيرة فقد كانوا يعملون فيها مع أفراد أسرهم[١].

وكانت معظم الأراضي الزراعية في حضرموت الساحل تروى

(١) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٢٥.

بمياه المعايين التي يستأجرها ملّاك الأرض ويؤجرونها للمزارعين بالثلث[١]، وهو نظام يعمل به أيضاً في المزارع الصغيرة التي تعتمد في الري على مياه المعايين الصغيرة، أما الأراضي الواسعة فتروى من المعايين الكبيرة مثل أراضي الحامي والديس الشرقية، ويكون نظام الري فيها بالفردة (سقي يوم أو ليلة) حسب تقدير دورات المعيان.

ويقدر الايجار بالنقد للسنة الزراعية من بداية نجم البلدة في السنة الجديدة، وتتم مواعيد إبرام العقد وإلغائه في نجم البلدة قبل شهر من انتهاء مدته[٢].

ويتعرض الفلاح في نظام المحاصصة للظلم والغبن؛ لأن مالك الأرض يحصل على النسبة الكبيرة من الإنتاج دون أن يبذل جهداً في عملية الإنتاج، كما أن ذلك لم يشجع الفلاحين على زيادة الإنتاج حيث ظل الإنتاج الزراعي ضعيفاً ولا يكفي لسد حاجة السكان من المحاصيل الزراعية.

ولم يكن نظام المحاصصة السبب الرئيسي في قلة الإنتاج الزراعي، بل كانت الضرائب تثقل كاهل الفلاحين كضريبة الشراحة، التي كانوا يدفعونها للقبائل في المناطق المختلفة من الإمارة الكسادية مقابل حراستهم للنخيل في وقت الخريف، وتقدر بنسبة من التمور لمن

(١) يتم تقاسم المحاصيل الزراعية على النحو الآتي: ثلث الإنتاج للمالك، وثلث للمزارع، وثلث لمن يقوم بتسميد الأرض، أما أشجار النخيل والأشجار الثابتة فريّها على المالك، ويتحصل المزارع مقابل العناية بها على الثمن أو الربع من المحصول.

(٢) البطاطي: إثبات ما ليس مثبوت، المرجع السابق، ص١٢.

لا يستطيع أن يحمي محصوله، وإلى جانبها أيضاً ضريبة الكيلة[١] مقابل حراسة محاصيل الحبوب[٢]، كما اتفق آل كساد أيضاً مع آل باحسن على مشاركة بيت علي في حماية المحاصيل الزراعية في الأراضي الكسادية مقابل حصولهم في يوم الحصاد على غذاء لمواشيهم ولكل منهم مع محفر وزيف زائد على الثمن المقرر عند البيع[٣].

ويرى الباحث أن ضرائب الحراسة على المحاصيل الزراعية نظاماً معمولاً به في جميع أرجاء حضرموت وليس في الإمارة الكسادية وحدها، وإن وجد اختلاف بينها حيث يعود ذلك إلى مقدار الثمن الذي تستلمه القبائل مقابل القيام بالحراسة فقد يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً، وقد يتغير نوع المدفوع العيني فبدلاً من الذرة قد يكون قمحاً أو تمراً، وقد أسهمت هذه الضرائب في تخلف الإنتاج الزراعي.

---

(١) فخذ بيت علي الذي يعد رئيس آل عمرو والحموم وهو الذي فرض نظام الكيلة على الأرض الزراعية في الإمارة الكسادية، ونظراً لبُعد سكن بيت علي عن هذه الأراضي قام بإشراك فخذ باحسن إلى جانبهم للقيام بحراسة تلك الأراضي الزراعية في الأراضي التابعة للإمارة الكسادية، وكانت الكيلة تدفع نقداً بمبلغ يتراوح بين (٤٠٠ - ٥٠٠) ريال يفرضها حكام آل كساد على ميسوري الحال من أهل البلاد، ويتم تسليمها لبيت علي، ثم رفَعَها سالم بن حسن الكسادي وجعلها (١٦١٦) مكيالاً من طعام الذرة من أراضي معيان الروضة، على أن تدفع في موسمي الصيف والشتاء، وقد استمر العمل بنظام الكيلة حتى عام ١٩٦٩م، علي حسن وعبد الرحمن الملاحي، الصراع الحمومي القعيطي، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٢) علي حسن وعبدالرحمن الملاحي: الصراع الحمومي القعيطي، المرجع السابق، ص٢٢٨. البطاطي: المرجع نفسه، ص١٢.

(٣) علي حسن وعبدالرحمن الملاحي: المرجع نفسه، ص١١٨.

ثانياً: الصناعات والحرف اليدوية:

رافقت الصناعة والحرف اليدوية البدائية المجتمع البشري في حضرموت عبر العصور التاريخية وتطورت خلالها، ولكنها حافظت على تفردها بالمهارة اليدوية المتوارثة في الأسر المحترفة لها، حيث مارستها بعض الفئات الاجتماعية منذ وضوح التقسيمات الاجتماعية للعمل(١).

وبلاد اليمن في مقدمة بلدان شبه الجزيرة العربية في الصناعة اليدوية ولا سيما في صناعة الخناجر، والسيوف، وبناء السفن(٢).

وقد اشتهرت الصناعات الحرفية في حضرموت بفنها الراقي ونقوشها المنمقة الموروثة عن الآباء والأجداد(٣).

كان النشاط الصناعي الحرفي متخلفاً ولا يلبي حاجة المجتمع، وكان سبباً في تدني مستوى الإنتاج، وكانت أغلب الصناعات والحرف في حضرموت تعتمد على المواد الخام الأولية المحلية والمستوردة، كما أن ازدهار بعض الصناعات والحرف ترافق مع ازدهارها حرف وصناعات أخرى، فصناعة السفن على سبيل المثال كانت تعتمد بدرجة

---

(١) العوبثاني: سالم مبارك، النشاط الصناعي في محافظة حضرموت. بحث مقدم إلى الندوة العلمية بعنوان «التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت» كلية التربية المكلا، مارس ١٩٨٧م، ص٢.

(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١١٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٢. الحبشي: محمد عمر، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، بيروت ١٩٦٨ م، ص٣٤١.

رئيسية على حرفتي النجارة والحدادة[١].

اشتهرت الإمارة الكسادية بصناعة القوارب والسفن الصغيرة، وصناعة الغزل والنسيج (الحياكة)، والدباغة والمصنوعات الجلدية، وصناعة استخراج الزيوت النباتية والحيوانية، وحرفة صيد الأسماك، وتربية الماشية، إلا أن النشاط الاقتصادي فيها كان يعتمد بدرجة رئيسية على الزراعة، والتجارة، والملاحة، وصيد الأسماك[٢].

ومن أشهر الصناعات اليدوية في الإمارة الكسادية:

أ) صناعة الغزل والنسيج (الحياكة):

اشتهرت حضرموت عبر التاريخ بصناعة الغزل والنسيج (الحياكة)، وصَدَّرَتْ أنواعاً من الأقمشة إلى بلدان شبه الجزيرة العربية[٣]، وكانت هذه الصناعة تعتمد في ذلك على الخيوط المستوردة من الهند[٤]، ولا تزال هذه الصناعات موجودة إلى اليوم في مدينتي شبام والشحر.

وفي عهد الإمارة الكسادية كانت صناعة الغزل والنسيج (الحياكة)

---

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج١، ص١٣٦، ١٣٧. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١١٢.

(٢) مكنون: صادق عمر أحمد، أثر هارولد إنجرامز في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حضرموت (١٩٣٤- ١٩٤٤م) رسالة دكتوراه، الجامعة الماليزية، ٢٠٠٦ م، ص٣٠٢.

(٣) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١١٣.

(٤) المرجع نفسه، ص١١٣. سارجنت: أربي، حول مصادر التاريخ الحضرمي، جامعة الكويت، بدون تاريخ، ص١٣٩.

موجودة في حي الحارة بالمكلا، حيث كانت تمارس هذه المهنة أسرة آل بروق التي وفدت إلى مدينة المكلا من مدينة حبان بشبوة[١]، وقد ترافق ظهور حرفة أخرى مرتبطة بها هي صباغة الملابس بالنيلة ذات اللون الأزرق والمستخرجة من نبات (الأنديجو) (Endigo) المنتشر في منطقة تهامة، كما تستخدم النساء أيضاً هذه النيلة في دهن أجسادهن بديلاً عن الأصباغ المستوردة[٢].

وفي رأي الباحث لم يكن لصناعة الغزل والنسيج رواج كبير في عهد الإمارة الكسادية، ويعود ذلك إلى عدم اهتمام آل كساد بصناعة الحياكة؛ لكي لا تحل هذه الملابس محل الملابس المستوردة من الخارج، لأن بعض أفراد الأسرة الكسادية كانوا يشتغلون بالتجارة، ومنها تجارة الملابس، كما أن الاستغناء عن استيراد الملابس من الخارج سيفقد الإمارة الكسادية جزءاً من دخلها الذي كانت تتحصل عليه من الرسوم الجمركية على هذه التجارة، فضلاً عن قلة وتكاليف الإنتاج الذي لم يسد حاجة السوق المحلية منها، ناهيك عن منافسة صناعة الحياكة لها في مدينة الشحر، التي كانت تشتهر بإنتاج أجود منسوجات الحياكة، كما أن المجتمع الحضرمي في تلك الفترة كان يحتقر مثل هذه المهن، ومن أشهر الأسر التي مارست مهنة الحياكة

---

(١) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص٢٦. الجيلاني: عبدالله حسين، باحث في تاريخ حضرموت، مقابلة شخصية مسجلة شريط رقم (١) بتاريخ ٢١/ ٦/ ٢٠٠٧م.

(٢) الصائدي: أحمد قائد، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن. الندوة العلمية حول (اليمن عبر التاريخ) جامعة عدن، ٢٣ - ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩م، ص٨٠.

أسرة آل باموسى، وآل بروق، وآل دحيمان[١].

ب) صناعة مواد البناء:

تعتبر صناعة الطوب الطيني (اللبن) غير المحروق، والمعروف باسم (المدر)، وصناعة الجير الحي (النورة) من أقدم صناعات مواد البناء في حضرموت، حيث شيدت منها ناطحات سحاب في مدينة شبام بوادي حضرموت[٢].

ويصنع الطوب الطيني من الطين المخلوط بالماء ومخلفات القمح (التبل) وبعض روث الماشية، ثم يوضع في مربعات خشبية ذات أحجام محدودة على الأرض، ثم يتم رفع هذه المربعات ويترك الطين بضعة أيام تحت أشعة الشمس حتى يجف، يتم بعد ذلك نقله إلى مواقع البناء، ويمتاز هذا النوع من الطوب بأنه عازل جيد للحرارة[٣].

أما صناعة (النورة) فتتم عن طريق إحراق الحجر الجيري في درجة حرارة عالية في أفران خاصة تسمى محلياً بـ(الأكيار) ومفردها (كير)، وتستخدم جذوع النخيل وقوداً أساسياً في صناعة تحويل الحجر إلى (نورة)، وكانت (النورة) من العناصر الأساسية في البناء المعماري، فضلاً عن أنها تضفي جوانب جمالية على المنازل الحضرمية[٤]، حيث استخدمت في طلاء البيوت، والقلاع، والحصون، والمساجد،

(١) الجيلاني: مقابلة شخصية، المرجع السابق.
(٢) العوبثاني: النشاط الصناعي، المرجع السابق، ص٧.
(٣) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٨.
(٤) المرجع نفسه، ص١٢٨.

والقباب، من الداخل والخارج، ناهيك عن استخدامها كمادة مساعدة في ربط جدران البيوت والبنايات الحجرية ببعضها البعض .

وقد استخدم آل كساد هذه المواد في بناء مدنهم وحصونهم وقلاعهم وأسوارهم، ولا يزال البعض منها قائماً إلى يومنا هذا.

وكانت مواقع أكيار النورة تحت بيت (بحول) بمدينة المكلا على طول البحر باتجاه الغرب قبل بناء البيوت محلها، ويتراوح عددها ما بين أربعة إلى سبعة أكيار[١].

ج) صناعة استخراج الزيوت:

تستخرج الزيوت من حبوب السمسم في معاصر بدائية تعتمد على جهد الإنسان والجمل، وتتكون المعصرة من قطعة جذع شجرة بها حفرة مخروطية ومغروسة بإحكام في الأرض، ويوضع السمسم في جوف الجذع، ويقوم الجمل بتحريك ذراع خشبي قوي فوق فتحة الجذع بشكل رأسي بطحن (بعصر) حبوب السمسم مرات عديدة داخل فتحة الجذع فيخرج الزيت من حبوب السمسم (زيت المعصرة).

أما مخلفات حبوب السمسم فتسمى (تخ) وتستخدم غذاء للماشية[٢].

وقد كانت معاصر السمسم في عهد الإمارة الكسادية تقع مكان مسجد عمر بمدينة المكلا[٣] قبل بنائه، ويتميز (زيت المعصرة) بطعمه

---

(١) الجيلاني: مقابلة شخصية، المرجع السابق.
(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٨.
(٣) الجيلاني: مقابلة شخصية، المرجع السابق.

اللذيذ وخلوه من الشحوم؛ لأنه زيت نباتي.

وفي قرية الحامي كان يتم استخراج الزيت من السمك بطريقة بدائية داخل أحواض صغيرة بها أحجار يوضع عليها قطع السمك وتتعرض لحرارة الشمس فتذوب المواد الدهنية وينـزل الزيت ويتجمع في الأحواض الموضوعة تحت الأحجار فيترسب الدم ويبقى الزيت فوق الدم، حيث يتم بعد ذلك فصله عن الدم، ويوضع في براميل أو صفائح، وينقل إلى الأسواق للبيع(١).

د) صناعة بناء السفن:

كان ميناء المكلا محطة مهمة على طريق التجارة تتزود منه السفن بالمياه والمؤن، وكان يتم فيه أيضاً صيانة السفن وقوارب الصيد، وقد اهتم آل كساد بصناعة بناء السفن اهتماماً كبيراً؛ لأن عدداً من أفراد الأسرة الكسادية في المكلا والحامي والديس الشرقية كانوا ملّاحين وربابنة سفن وتجاراً يملكون أسطولاً تجارياً لنقل البضائع والمسافرين إلى بلدان المحيط الهندي والخليج العربي، كما أن موقع الإمارة الكسادية على بحر العرب وعلى الخط التجاري العالمي بين الشرق والغرب فرض عليها بناء أسطول بحري للدفاع عن أراضيها وحماية سفنها وسواحلها من عمليات القرصنة والغزو الخارجي.

وقد ازداد اهتمام الكساديين بصناعة بناء السفن في عهد النقيب صلاح بن محمد الكسادي، الذي استقدم أحد المتخصصين في صناعة السفن من مدينة الحديدة اليمنية على ساحل البحر الأحمر، ويدعى

(١) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص١٩٩.

(إبراهيم النجار) لتعليم عبيد الكسادي صناعة بناء السفن، كما سمح لمن يرغب من رعاياه من الحرفيين في النجارة بأن يتدربوا أيضاً على صناعة السفن على يد إبراهيم النجار، وقد كان ذلك في الفترة ما بين عامي (١٢٧٠- ١٢٨٥هـ/ ١٨٥٢- ١٨٦٨م)[١].

كان أهل المكلا قبل قدوم إبراهيم النجار إليها يستخدمون القوارب القديمة التي تتكون من ألواح خشبية تخاط مع بعضها بخيوط[٢]من الألياف من دون استعمال أي شيء آخر في تثبيتها، وكان بعضها صغير الحجم والبعض الآخر كبيراً، ويستخدم في تسيير القوارب الصغيرة الأشرعة، بينما تستعمل المجاديف في تسيير القوارب الكبيرة[٣].

وقد أنشأ آل كساد محطتين لصناعة السفن في المكلا أحدهما

---

(١) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٤٠.

(٢) السفن المخيطة لصنع القوارب أو السفن المخيطة بوضع قاعدة المركب الخشبية على الأرض، ثم تثبت عليها ألواحاً أفقية على الجانبين وإلى بعضها البعض بخيوط من الليف، ثم تركب أضلاع القارب بطريقة اللصق، ومن ثم يتم تثقيب حافة اللوح عدة ثقوب بين كل منها مسافة مقدارها (٥ - ١٠) سم، وبعد ذلك يتم إجراء شقوق عمودية بين الألواح والخياطة في آن واحد، والحبال تتكون من ألياف جوز الهند، ويتم حشو الألياف بين الألواح أثناء عملية الخياطة في وقت واحد تفصلها مسافات في اتجاهين متعاكسين، ومن ثم تضاف أضلاع أخرى من الألواح يتم تثبيتها بخيوط من الحبال تمر في كل ثقب منها خيطان على كل جانب حتى تستكمل خياطة القارب كله. باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٤١.

(٣) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٢، ٥٣.

شرقي اللسان الأرضي على مقربة من الميناء وتسمى محطة (خصيغة)، والأخرى في طرف اللسان الأرضي قرب مقر الجمارك، وفيهما تم بناء أربع سفن شراعية للكسادي تحت إشراف إبراهيم النجار ومشاركة العبيد وأفراد من أسرة آل باطرفي، وهذه السفن هي: القنبوس، درب الأمان، الزاهر، فتح الخير.

وبمرور الزمن أخذت صناعة السفن والقوارب تتطور بعد اكتساب العاملين في ورشتي الكسادي الخبرة الكافية في ذلك، كما سعى بعض التجار لامتلاك سفن تجارية فصنع لهم آل باطرفي خارج ورشة الكسادي سفينة تسمى (الهلال)، كما سعى آل بو سبعة أيضاً إلى امتلاك سفينة تجارية فصنعت لهم أسرة آل بن ربيد سفينة (الصرك)[١].

كما توجد صناعة السفن والقوارب أيضاً في الحامي، والقرن بالديس الشرقية[٢]، ففي ميناء القرن كان يتم بناء وإصلاح السفن وترميم القوارب وتبديل العديد من أجزائها بما في ذلك صاري السفن (الدقل)، الذي يتم إصلاحه بعد جفافه من الماء، كما يتم في هذا الميناء أيضاً طلاء القوارب والسفن الشراعية بالزيت والشحم[٣].

ومن الأسر المشهورة بصناعة السفن والقوارب بما فيها

(١) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٣.
(٢) محروس: محمد عوض، مكانة أهل الديس في الملاحة والتجارة البحرية في ساحل حضرموت، مجلة (خلفة) العدد (٣) مايو ٢٠٠٩م، ص٢٠.
(٣) بحاح: محمد عوض، صناعة القوارب والسفن الشراعية في الديس الشرقية، مجلة (خلفة) العدد (٣) مايو ٢٠٠٩ م، ص٢٦.

(الزعيمة)[١] و(العبري)[٢] في عهد الإمارة الكسادية آل بازياد، وآل بن ربيد، والمحافيظ، وآل باطرفي[٣].

هـ) الدباغة والمصنوعات الجلدية:

اشتهرت حضرموت ومنها الإمارة الكسادية بدباغة الجلود ومعالجتها لتحويلها إلى مادة نافعة يستفيد منها الإنسان في جوانب عديدة من الحياة، وقد ساعد على ازدهار هذه الحرفة وجود مقوماتها من الإبل، والأغنام، والماعز، والأبقار، وبعض النباتات التي تستخدم ثمارها وأوراقها وإفرازاتها السائلة في عملية الدباغة، وأهم هذه النباتات شجرة القرض[٤]، وتتم عملية دباغة الجلود بوضعها في أحواض بها ماء لمدة يومين، بعدها تعبأ الجلود من الداخل بمسحوق

---

(١) الزعيمة: وهي نوع من السفن تصنع في المكلا، وهي ذات مقدمة منحنية ومؤخرتها مائلة إلى الخلف، ولها سطح صغير في المقدمة وآخر في المؤخرة، وللنوع الكبير من هذه السفن دقلان، وللصغير دقل واحد، ومؤخرة الزعيمة تشبه مؤخرة الزورق، وسكانها مثل سكانه. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق ص١٤٢.

(٢) العبري سفينة تتكون من قاعدة مستقيمة، ومقدمة طويلة ومنخفضة لا رأس لها وبارزة من جانبها، أما مؤخرتها فعالية تميل إلى الخلف، وسطحها عالٍ في المؤخرة، ولها سطح آخر في المقدمة، ويتم تصميم دقل العبري بحسب حجمه. الجعيدي: المرجع نفسه، ص١١٩. شهاب: حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، بيروت ١٩٨١م، ص٣٢٤.

(٣) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٣. محروس: مكانة أهل الديس في الملاحة، المرجع السابق، ص٢٠.

(٤) القرض شجرة لها ساق غليظ تشبه شجرة الجوز، ولها ثمر يُستخدم في دباغة الجلود.

أشجار القرض، ثم يتم تحريكها ونـزع الشعر منها، حيث تستمر هذه العملية لمدة أربعة أيام حتى تنظيفها تماماً من الشعر، ثم يتم بعد ذلك تغسيلها وتجفيفها تحت أشعة الشمس[١]، وبذلك تكون جاهزة للمصنوعات الجلدية، حيث تمكنت هذه المنتوجات من تلبية حاجة قطاعات واسعة من السكان بأسعارها المناسبة، وجودة صنعها، ومتانة مادتها، وملاءمتها لطبيعة الأرض الجافة والطينية والصخرية[٢].

وقد ازدهرت حرفة الدباغة والمنتوجات الجلدية في مدينة المكلا بازدياد عدد سكانها في عهد الإمارة الكسادية، حيث أقيم لهذا الغرض مجمع للدباغة في اللسان الأراضي بمدينة المكلا على مقربة من البحر، وقد اشتهرت عدد من الأسر بالعمل في هذه الحرفة مثل آل باجبير، وآل مقرم، وآل جوبان[٣]، ومن أشهر المنتجات الجلدية الأحذية، والأحزمة، والدلاء، وقرب الماء، ومسابت الرصاص[٤]، والكسع[٥]، والسقاء[٦]، كما أن المدابغ كانت تزود التجار بحاجتهم

(١) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٣٥. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١١٦.
(٢) العوبثاني: النشاط الصناعي، المرجع السابق، ص٦.
(٣) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٦.
(٤) مسابت الرصاص هي عبارة عن أحزمة بها فتحات صغيرة توضع فيها الأعيرة النارية.
(٥) الكسع ومفردها كسعة وهي عبارة عن شنطة صغيرة تحتوي على عدة جيوب يستخدمها البدوي لحفظ النقود.
(٦) السقاء عبارة عن كيس صغير من الجلد يستخدم لأغراض متعددة لحفظ اللبن أو الدقيق أو الصبر وغيرها من الأشياء ولا سيما أثناء الترحال.

من الجلود للمتاجرة بها في داخل الإمارة الكسادية وخارجها[١].

ويعود ازدهار حرفة الدباغة والمنتجات الجلدية - في رأي الباحث - في عهد الإمارة الكسادية إلى الأسباب الآتية:

١- توفر المواد الخام الأولية لهذه الحرفة في الإمارة الكسادية.
٢- حاجة الناس في الإمارة الكسادية للمنتجات الجلدية.
٣- جودة هذه المنتجات وملاءمتها للظروف الطبيعية في الإمارة الكسادية.
٤- عدم وجود منتجات جلدية مستوردة منافسة للمنتجات المحلية .

و) حرفة الصيد وتجفيف الأسماك:

بما أن معظم الأراضي التابعة للإمارة الكسادية تقع على الشريط الساحلي ويعتمد كثير من سكانها على الصيد في معيشتهم، فقد مارست مجموعة كبيرة من الناس عملية صيد الأسماك في المكلا، وبروم، وروكب، والحامي، والديس الشرقية[٢]، حيث تتميز سواحلها بوجود أنواع عديدة من الأسماك الجيدة أشهرها - بحسب التسميات المحلية لها - الثمد (التونة)، والزينوب، والشروي، والعيد، والطرناك (الديرك)، والتمكري، والغودة، والفرس، والعندق، والقناط، والصرع بمختلف أنواعها، وغيرها من الأنواع الأخرى[٣].

---

(١) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٦.
(٢) عبدالأمير: علي، الثروة السمكية في اليمن الديمقراطية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص٥٧.
(٣) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٩٨.

وكان الصيادون يستخدمون الشباك والصنارة في عملية صيد الأسماك، إلا أن علاقات الإنتاج لم تكن متكافئة؛ لأن ملّاك القوارب وسفن الصيد كانوا يقومون باستغلال الصيادين، كما أن التجار كانوا أيضاً يستغلونهم عند بيع إنتاجهم السمكي فيضطرون إلى بيعه بأسعار رخيصة خوفاً من تعرضه للتلف أو تعرضهم للبطالة، على الرغم من تمتعهم بحرية بيع إنتاجهم في السوق[١].

كما أن بعض القبائل القاطنة في مناطق الاصطياد البحري كانت تفرض أيضاً ضرائب وإتاوات على الصيادين، ومن أشهرها الكيلة وهي مبلغ من المال يحدد نقداً أو عيناً مقابل قيام هذه القبائل بحماية سكان مناطق الاصطياد، فالصيادون من روكب يدفعون الكيلة إلى قبيلة العوابثة، والصيادون في فوَّة وبروم يدفعونها إلى قبائل العكابرة وبني حسن، وفي حالة قيام الصيادين بالاصطياد خارج مناطق سكنهم كأن يصطاد صيادو بروم في الديس الشرقية أو الحامي أو العكس، فإنه يتم فرض ضريبة إضافية جديدة عليهم علاوة على ما يدفعونه لقبائل مناطقهم وتسمى (الخفر) و(الجدوح)[٢]، وهي من عوائد البادية في الديس الشرقية، ويقوم بتحصيلها بيت علي وباحسن والسباعي من قبيلة الحموم، حيث يتم تقسيمها بينهم بالتساوي شريطة حضور ممثليهم عند التقسيم، وكانت أبرز هذه الضرائب هي:

---

(١) الخضر: سالم عمر، الطابع الاقتصادي العفوي للانتفاضات القبلية م/ حضرموت. بحث مقدم إلى الندوة التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت، كلية التربية، المكلا ١٩٨٩م، ص١٠٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٩.

١- ضريبة الخفارة: وهي مبلغ من المال يقدر بـ(خمسة) ريالات، ورطل (بُن) يُفرض على كل سفينة ترسو في ميناء القرن مقابل حماية البادية لها، كما يتحصل حارس السفينة على مصروفه اليومي الذي يعادل مصروف فرد من بحارة السفينة[١]، وكانت الضريبة على سفن الصيد في المكلا وروكب وبروم مبلغ ريال (واحد)، ورطل (بُن)، أما سفن الحامي والديس الشرقية فكانت معفية من الرسوم.

٢- ضريبة الجدوح: وهي ضريبة عينية يدفعها للقبائل كل قارب أو سفينة تقوم بالاصطياد في القرن، ومقدارها حوت (سمكة كبيرة) من الصيد في حالة الصيد الكثير، أما إذا كان الصيد قليلاً فيحصلون على ما يكفيهم لغذائهم في ذلك اليوم فقط[٢].

وفي رأي الباحث كانت هذه الضرائب نظاماً عاماً موجوداً في كل المناطق الساحلية في حضرموت وليس في الحامي والديس الشرقية والقرن فقط، وإن تعدد هذه الضرائب ساهم في تخلف الإنتاج وابتزاز الصيادين في الإمارة الكسادية، التي تركت القبائل في الحامي والديس الشرقية والقرن وشرمة تفرض تلك الضرائب على مواطنيها من أجل استمرارية ولاء هذه القبائل للإمارة الكسادية في هذه المناطق، التي تعد الموطن الذي تحرك منه آل كساد لإقامة إمارتهم في المكلا، كما أنه يوجد أيضاً أبناء عمومتهم حكاماً عليها، وكانوا لا يستطيعون الوصول إليها إلا عبر البحر، فضلاً عن تخوف آل كساد من تحالف

(١) المرجع السابق، ص١١٩.
(٢) المرجع نفسه، ص١١٩.

هذه القبائل مع السلطات المتعاقبة على الحكم في مدينة الشحر (آل بن بريك - آل كثير - القعيطي) فيتم محاصرتهم في المكلا وبروم وروكب، ناهيك عما كانت تتميز به قبائل هذه المناطق من شجاعة وقوة بأس وعدم الخضوع لسلطات الدول المختلفة.

أما عملية تجفيف الأسماك فإنها تتم تحت أشعة الشمس أو إدخالها في الأفران، كوسيلة لحفظها من التلف تمهيداً لاستهلاكها مستقبلاً أو للمتاجرة بها مع المناطق الأخرى.

ويتكون الفرن من حفرة صغيرة في الأرض بأبعاد متر في الطول، ونصف متر في العرض، ومحاط بالحجارة، ثم توقد النار في الحفرة وتوضع قطع السمك الكبيرة داخل الفرن بعد احتراق الخشب، بعد ذلك يتم إغلاق الفرن، وتترك قطع السمك بداخله حتى تنضج، ثم يتم إخراجها وتنقيتها من العظام والقشور، وتترك تحت الشمس لأيام تمهيداً لبيعها في الأسواق[١] أو لتصديرها إلى المناطق الداخلية في حضرموت.

أما سمك القرش فيتم تجفيفه بحرارة الشمس بعد رش الملح عليه، ويستخدم غذاء للإنسان، في حين تجفف الأسماك الصغيرة تحت أشعة الشمس أيضاً، وتستخدم سماداً في الزراعة وغذاء للجمال وبعض المواشي الأخرى، وكانت عملية تجفيف هذه الأسماك تتم في داخل مدينة المكلا[٢]، وكان يتم تجفيف الأسماك وخاصة سمك

(١) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٦٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٦٨.

(كلب البحر) - الذي يتم إرساله إلى عدن وسواحل شرق إفريقيا- في قرية الحامي[١] .

ومثل هذه الأساليب في تجفيف الأسماك كانت تنتشر أيضاً في بروم وروكب والديس الشرقية، ولكن الإنتاج السمكي لم يكن بكميات كبيرة بسبب تخلف الوسائل المستخدمة في الاصطياد، وكثرة الضرائب على العاملين بتجفيف الأسماك، وكانت صعوبة المواصلات بين المناطق سبباً في عدم تسويق بعض الأسماك المجففة.

ز) حرفة الصياغة:

اعتمدت حرفة الصياغة في الإمارة الكسادية على معدن الفضة، التي يتم الحصول عليها بصهر الريال النمساوي (ماريا تريزا)[٢] وتحويله إلى حُلي تستخدمه النساء للزينة، ومن أشهر منتجات هذه الحرفة كانت الأساور، والخلاخيل، والأقراط، والخواتم، والأحزمة، وغيرها، وقد تخصصت في ممارسة هذه المهنة أسر معينة منها أسرة آل باحشوان، وأسرة آل حسان، وأسرة آل باقطيان، وأسرة آل العماري، وأسرة آل قوني[٣].

---

(١) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص١٩٩.

(٢) زبال: استطلاع عن مدينة المكلا، المرجع السابق، ص٨٤. العوبثاني: النشاط الصناعي، المرجع السابق، ص٩.

(٣) بن دغر: حضرموت والاستعمار البريطاني، المرجع السابق، ص١٢٧. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١١٨. باصالح: عوض عمر، (٧٠ عاماً) من سكان الحامي، مقابلة شخصية أجراها صالح أحمد الغرابي بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠٠٩ م.

وفي رأي الباحث لم تكن لحرفة الصياغة رواج كبير في عهد الإمارة الكسادية، ويعود ذلك إلى عدم توفر معدن الفضة في الإمارة الكسادية الذي تصنع منه الحلي، واعتماد هذه الحرفة على الريال النمساوي، الذي يتداوله الناس عملة في الإمارة الكسادية، فضلاً عن صعوبة الحياة المعيشية للسكان وقلة دخلهم، وعدم مقدرتهم على شراء منتجات الفضة، وصعوبة العمل في هذه المهنة؛ لأنها تحتاج إلى إتقان ومهارة عالية في صياغة الفضة.

ح) حرفة الحدادة والنجارة:

ظهرت حرفة الحدادة في الإمارة الكسادية لتلبية حاجة الملاحة البحرية وصيد الأسماك[١]، وهي من الحِرف التي رافقت في تطورها حِرفاً أخرى لتوفير متطلبات المجتمع الحضرمي[٢].

وتعد حرفة الحدادة في عهد الإمارة الكسادية من الحِرف التي تساهم في إنتاج أهم وسائل النقل البحري، وهي صناعة السفن، ففي عهد النقيب صلاح بن محمد الكسادي تم إنشاء مجمع للحدادة في مدينة المكلا متزامناً مع إنشاء محطة بناء السفن، حيث أقيم في شرقي اللسان الأرضي، فيما يسمى حينذاك بـ(حافة العبيد) على مقربة من محطة (خصيغة) لبناء السفن.

ومن أشهر الأسر التي تخصصت في ممارسة الحدادة والنجارة أسرة آل مقداد، وأسرة آل مزروع، وأسرة آل باعامر، وأسرة آل

(١) الجعيدي: المرجع السابق، ص١١٤.
(٢) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٣٧ - ١٣٩.

بازياد، وأسرة آل بن ربيد، وأسرة آل باطرفي، وأسرة المحافيظ[١].

ثالثاً: التجارة:

استفادت الإمارة الكسادية تجارياً من موقعها المطل على بحر العرب والمحيط الهندي، الذي كان ولا يزال حتى اليوم الخط الرئيسي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب، فمارس سكانها الملاحة والتجارة وصيد الأسماك مستفيدين في ذلك من خبراتهم الملاحية، ومعرفتهم بعلم الفلك، واتجاهات الرياح وأوقاتها، فضلاً عن إلمامهم الكبير بقواعد وأصول المعاملات التجارية.

ومن أشهر الأسر التي اشتغلت بالتجارة في الإمارة الكسادية أسرة آل بحول، وأسرة آل برقعان، وأسرة آل بلخير، وأسرة آل المقدي، وأسرة آل قرنح، وأسرة آل بصعر، وأسرة آل باجسير وغيرهم[٢].

وبازدهار التجارة في الإمارة الكسادية ظهرت فيها شريحة اجتماعية صغيرة تسمى (الدّلل)[٣] الذين كانوا يقومون بدور الوسيط ما بين البائعين والمشترين، ويقدمون أيضاً للبدو والتجار الذين يفدون إلى الأسواق خدمات أخرى، فكانوا يعقدون الصفقات التجارية مع تجار المدن ويرشدونهم إلى تقلبات الأسعار في الأسواق[٤].

---

(١) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٥٣، ٥٤.
(٢) الجيلاني وباصالح: مقابلات شخصية.
(٣) للمزيد من المعلومات عن الدلل ووظائفهم راجع كتاب بامطرف (المعلم عبدالحق)، ص٢١١ - ٢١٤.
(٤) بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص٢١٢، ٢١٣.

أ) الموانئ التجارية في الإمارة الكسادية:

شهدت مدينة المكلا حاضرة الإمارة الكسادية حركة تجارية كبيرة، ولعل ذلك يعود إلى سيطرة الإمارة الكسادية على العديد من الموانئ الساحلية المهمة، والتي كان ينطلق منها مواطنو الإمارة الكسادية في التجارة والملاحة والصيد ومن أهم هذه الموانئ هي:

١- ميناء المكلا:

ويقع على ساحل بحر العرب المرتبط بالمحيط الهندي وعلى خط طول (١٠° و٤٩°)، وخط عرض (٣٢° و١٤°)[١]، وميناء المكلا جزء لا يتجزأ من خليج المكلا، وهو ميناء مكشوف ويقع بين خليج فوَّة ورأس مرباط، ويتكون خليج المكلا من الامتداد الأرضي المتوغل في البحر في شكل حاجز طبيعي للأمواج عرضه ٣٠٠ متر تقريباً، وطوله يزيد على نصف كيلو متر، وتنتصب أمام هذا الخليج سلسلتان جبليتان تساعدان على تقليل حدة الرياح والعواصف البحرية[٢].

كان ميناء الشحر يحتكر التجارة في حضرموت الساحل حتى قيام الإمارة الكسادية في المكلا، بعدها بدأت الشحر في فقدان هيمنتها على تجارة حضرموت أمام منافسة ميناء المكلا لها[٣] لما يتمتع به هذا الميناء من ميزات طبيعية، حيث كان يوفر الحماية للسفن وقوارب الصيد فترة اشتداد الرياح، فضلاً عن قربه من ميناء بروم الذي يظل

(١) ثابت ويوسف: استخدام الأرض في حضرموت، المرجع السابق، ص٤٣.
(٢) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١١٣.
(٣) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٤.

صالحاً للملاحة حتى في موسم الرياح الجنوبية الغربية، التي تهب من المحيط الهندي على سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان العامل الحاسم في ازدهار ميناء المكلا هو تأسيس الإمارة الكسادية في مدينة المكلا وجعلها عاصمة لها ورواج التجارة فيها، حتى أصبحت الميناء الرئيسي الأول في حضرموت[١]، فقد اهتم الحكام الكساديون بتنظيم وتشجيع التجارة فيها، وتقديم الأراضي مجاناً للتجار، وتخفيض المكوس الجمركية على البضائع التجارية، وإقرار العدل والنظام فيها، فساعد ذلك على قدوم العديد من التجار إليها من مناطق الإمارة وخارجها مثل الهنود والصومال للاستقرار فيها، وبذلك أصبحت المكوس والضرائب التي كانت تحصل عليها الإمارة الكسادية من الحركة التجارية في ميناء المكلا المصدر الرئيسي للدخل في الإمارة، حيث يقدر دخلها الشهري من ميناء المكلا حينذاك بحوالي (عشرة آلاف) ريال نمساوي (ماريا تريزا)[٢]، وبازدهار التجارة في الميناء ازدهرت المدينة تجارياً وعمرانياً وتوسعت مساحتها وازداد أعداد سكانها باستمرار.

٢- ميناء الحامي:

ويقع في شرق ميناء الشحر على ساحل البحر العربي، وهو ميناء للصيد بدرجة رئيسية، كما كانت له أيضاً أهمية أخرى تتمثل في تزويد السفن التجارية بمياه الشرب عند مرورها به في طريقها إلى مينائي

(١) باحاج: موانئ اليمن وخليج عدن، المرجع السابق، ص١٠٢.
(٢) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٢٨. باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٤٨، ١٤٩.

الشحر والمكلا.

وقد ورد ذكر هذا الميناء في سجلات ملاحي الخليج باسم (ممزر)[١]، وخلال مرور هذه السفن كان تجارها يتعرفون أيضاً على أسعار البضائع والسلع في مدينة الشحر فيُقيمون بها ثمن البضائع المحملة على تلك السفن، كما أن الميناء كان يستخدم أيضاً لرسو السفن قبل قدومها إلى الشحر، حيث كان التجار يبعثون مندوبين عنهم إلى ملّاك السفن في الشحر يخبرونهم بموعد قدوم السفن إلى ميناء الشحر وبأنواع البضائع التي تحملها[٢] .

وتشتهر قرية الحامي بالملاحين المهرة أكثر من شهرتها كميناء تجاري، حيث كان لملاحيها دور كبير في الملاحة عبر العصور، فقد كانوا يسيرون الخط التجاري القديم الشحر، والهند، والخليج، وشرق إفريقيا[٣]، وكانوا معروفين أيضاً بالمغامرات البحرية واشتهروا في حضرموت بأنهم أصحاب المهن الأربع (الملاحة - صيد الأسماك - الفلاحة - والتجارة) ومن أشهر ملاحي الحامي في عهد الإمارة الكسادية هم:

١- الملاح عوض بن أحمد بن عروة (١٢٦٢ - ١٣٣٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٩١٤م).

---

(١) ممزر كلمة حضرمية مصدر للفعل (مزر) بمعنى استقى.

(٢) بامطرف: محمد عبدالقادر، الرفيق النافع على دروب منظومة الملاح باطايع، عدن، ١٣٩٢هـ، يوليو ١٩٧٢م، ص٦٩، ٧٠.

(٣) الملاحي: عبدالرحمن عبدالكريم، التطور العمراني لمدينة الشحر عبر القرون. بحث غير منشور مكتبة المؤلف. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٠٥.

٢- الملاح عمر عبيد باصالح (١٢٨٠ - ١٣٦١هـ/ ١٨٦٣ - ١٩٤٢م).
٣- الملاح محمد عوض عيديد (١٢٨٢ - ١٣٥٨هـ/ ١٨٦٥ - ١٩٣٩م)[١].

من ذلك يتبين أن ميناء الحامي كان من موانئ الاصطياد التابعة للإمارة الكسادية، وأن حكام الحامي من الكساديين كانوا يحصلون على ضرائب من السفن المارة بهذا الميناء، كما أن السفن القادمة من بلاد المهرة ترد أيضاً إليه وهي في طريقها إلى ميناء عدن والخليج العربي ؛وذلك للتزود بالمياه، وأن وجود الملاحين المهرة في قرية الحامي جعل الراغبين في تعلم فن الملاحة يفدون إليها لهذا الغرض، كما كان يتم أيضاً في ميناء الحامي إصلاح وصيانة السفن والقوارب الواردة إليه.

٣- ميناء شرمة:

يقع ميناء شرمة إلى الشرق من مينائي الحامي والقرن، وهو لسان بحري صغير يمتد أمامه جبل في البحر[٢]، يمتد الجبل لمسافة كيلو متر في ساحل بحر العرب، ثم إلى رأس شرمة الذي تقع أمامه جزيرة (حجرة) الصغيرة الملاصقة بالرأس، ويقع خلفه سهل واسع ينحني نحو اليسار مكوناً خليج شرمة، وهو الآن مصيف وموقع للسلاحف، أما الجانب الشرقي من الرأس فيمتد إلى مدخل (جثمون) ثم إلى (رأس باغشوة) .

---

(١) بامطرف: الشهداء السبعة، المرجع السابق، ص٥١.
(٢) بامطرف: الرفيق النافع، المرجع السابق، ص٦٨.

يطلق الأهالي على ميناء شرمة اسم (خلْفة)، وينسب إنشاؤه إلى جماعة من الهرامزة سكان الخليج العربي في القرن الحادي عشر الميلادي الموافق القرن الخامس للهجرة، وهو من الموانئ المهمة على شواطئ ساحل حضرموت.

وقد ظل هذا الميناء حتى القرن التاسع عشر الميلادي الموافق القرن الثالث عشر للهجرة ميناء لتجارة الترانـزيت، حيث كان يتم فيه تخزين البضائع[١] القادمة من الخليج العربي والهند؛ لأن السفن كانت لا تستطيع مواصلة رحلتها إلى عدن وشرق إفريقيا بسبب هبوب الرياح الجنوبية الغربية التي تبدأ في منتصف شهر أبريل، وتزداد في شهري يونيو ويوليو من كل عام[٢].

وعندما تهب الرياح المعاكسة كانت السفن القادمة من عدن وشرق إفريقيا في طريقها إلى الخليج العربي والهند تقوم بتخزين بضائعها في ميناء شرمة بحيث أصبح هذا الميناء منطقة التقاء، ومنطقة تخزين للسفن القادمة من جنوب شرق آسيا والهند والخليج العربي، وتلك القادمة من الشحر والمكلا وعدن وسواحل البحر الأحمر وشرق إفريقيا، حتى أصبح الميناء مركزاً مهماً للتبادل التجاري.

وكان الكساديون يتقاسمون عوائد الضرائب في ميناء شرمة مع بعض الأفخاذ الحمومية ومنها بيت غراب الذين كانوا يجبون ضرائب

---

(١) تم العثور على بعض المستودعات التي تستخدم لتخزين البضائع في ميناء شرمة.
(٢) الملاحي: عبدالرحمن عبدالكريم، مقابلة شخصية مسجلة في شريط عن ميناء شرمة، بتاريخ ٢٠/٨/٢٠٠٩م.

الاصطياد وضرائب رسوّ السفن في ميناء شرمة كضريبة (الجدوح)، و(الكيلة)، و(الخفارة)، وكان ملّاك السفن الكسادية في الديس الشرقية والحامي مَعْفُوِّين من دفع تلك الضرائب[١].

٤- ميناء القرن:

ويقع إلى الشرق من رأس شرمة مباشرة، وهو المنفذ البحري لمدينة الديس الشرقية[٢].

وتكمن أهميته في أنه كان أحد الموانئ الأساسية على الطريق التجاري إلى الهند والخليج وتلجأ إليه السفن لإصلاحها وصيانتها[٣]، كما أنه كان أيضاً ميناء لقوارب وسفن الاصطياد التي ترد إليه من موانئ مختلفة من ساحل حضرموت.

وبما أنه يقع بالقرب من شرمة فإن الباحث لا يستبعد أنه كان أيضاً يستخدم كميناء ترانـزيت وتبادل تجاري على غرار ميناء شرمة؛ لما عرف عن سكان الديس الشرقية من اهتمام بالملاحة البحرية، ولأنه من الموانئ الآمنة لرسوّ السفن.

وكان الكساديون في الديس الشرقية يستفيدون من الضرائب التي كانوا يفرضونها على السفن الراسية في الميناء والسفن المحملة

---

(١) الملاحي: عبدالرحمن عبدالكريم، مقابلة شخصية مسجلة في شريط بتاريخ ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٩م عن ميناء شرمة. (المرجع السابق).

(٢) بامطرف: الرفيق النافع، المرجع السابق، ص٦٨.

(٣) بحاح: محمد عوض، صناعة القوارب والسفن في الديس الشرقية، مجلة خلفة العدد (٣) مايو ٢٠٠٩ م.

بالبضائع وسفن الاصطياد.

٥- ميناء بروم:

يقع هذا الميناء على بعد ثلاثين كيلو متراً تقريباً إلى الغرب من ميناء المكلا على ساحل بحر العرب، وعلى خط طول (٤٦° - ٥٨° - ٤٨°) ثمان وأربعين درجة، وثمان وخمسين دقيقة، وست وأربعين ثانية، وعلى خط عرض شمالي (٥٦° - ٢١° - ١٤°) أربع عشرة درجة، وإحدى وعشرين دقيقة، وست وخمسين ثانية[١].

وقرية بروم قديمة وهي من أعمال فوَّة قبل تأسيس مدينة المكلا، ويشتهر ميناء بروم بتوفير الحماية للسفن التي تلجأ إليه في موسم العواصف والرياح والأمواج الهائجة[٢].

ويعد ميناء بروم من الموانئ المهمة في الإمارة الكسادية لوقوعه على حدودها الغربية، ويعتبر الميناء الأهم في الدفاع عن مدينة المكلا من جهة الغرب، وفي حماية التجارة القادمة إليها من نفس الجهة، فضلاً عن قربه من مدينة المكلا، كما أنه في حالة سيطرة أي قوة سياسية أخرى على قرية بروم فإنها ستتمكن من فرض حصار عسكري أو اقتصادي على مدينة المكلا وإثارة المتاعب للإمارة الكسادية.

ب) التجارة في الإمارة الكسادية:

اعتمدت تجارة حضرموت في عهد الإمارة الكسادية على مينائي

---

(١) الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، المرجع السابق، ص٨٥.

(٢) السقاف: إدام القوت، مصدر سابق، ص١٠٥، ١٠٦. شنبل: أحمد عبدالله، تاريخ حضرموت، تحقيق محمد عبدالله الحبشي، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٢٥٧.

المكلا والشحر في عملية الاستيراد والتصدير، وكانت أهم الصادرات في عهد الإمارة الكسادية هي التبغ، والعسل، والأقمشة المصبوغة بالنيلة، والصمغ العربي، وزعانف السمك، والبلح، والجلود، والحجر الجيري[١]، وكان يرافق عملية التصدير خروج العديد من التجار معها للأغراض التجارية، أو للقيام بنشر الدعوة الإسلامية في البلدان التي تسافر إليها السفن[٢].

أما أهم السلع التجارية المستوردة إلى الإمارة الكسادية فكانت الحبوب، والسكر، والأرز، والقطن، والشاي، والحديد، والأخشاب، والزيوت، والأدوات المنزلية، والمنسوجات، وبعض المنتجات النباتية والحيوانية[٣].

وكان يقوم بعملية الاستيراد بعض التجار الهنود الذين كانوا يقيمون في الموانئ الحضرمية وبعض الأسر الحضرمية مثل أسرة آل باجسير، وأسرة آل بصعر، وأسرة آل بحول، وآل كساد[٤]، وتعتبر تجارة الرقيق من أهم الواردات إلى مدينة المكلا في تلك الفترة.

---

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٢٧٣. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت. المرجع السابق، ص١٠٦. البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ص١٣٤.

(٢) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٤.

(٣) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص١٧٥. عكاشة: المرجع نفسه، ص١٤.

(٤) عكاشة: المرجع نفسه، ص٢٤. الجيلاني: مقابلة شخصية.

١- تجارة الرقيق:

كانت بريطانيا تشجع تجارة الرقيق في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين الموافق القرن الحادي والثاني عشر للهجرة، فقد نقلت السفن البريطانية (مليونين) من الإفريقيين من ساحل إفريقيا الغربي إلى (قارات العالم الجديد)، ولكن في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق القرن الثالث عشر للهجرة تفجرت الثورة الصناعية، وأصبح الرق عائقاً في تطور النظام الرأسمالي الذي يعتمد على العامل الحر، وتعالت الصيحات المنادية بإلغاء تجارة الرقيق لكونها منافية للقيم الإنسانية، وانضمت الكنيسة والجماعات الإصلاحية إلى ذلك الركب المطالب بإلغاء تجارة الرقيق، وتشكلت لهذا الغرض في بريطانيا جمعية (محاربة الرق)، وأصدرت بريطانيا قراراً بإلغاء تجارة الرقيق في عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م[١].

وفي عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م أعلنت بريطانيا إلغاء الرق من المستعمرات البريطانية[٢]، بقصد توفير الأيدي العاملة للعمل في المزارع والمصانع بالمستعمرات البريطانية من ناحية، وتوطيد النفوذ البريطاني في البحار من ناحية أخرى[٣]، ولغرض السيطرة على حركة الملاحة والتجارة البحرية في المحيط الهندي والبحار الشرقية لتتمكن بريطانيا من احتكار عملية نقل التجارة العالمية تحت شعار محاربة

(١) نقلاً عن مكنون، أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٤٩.
(٢) نقلاً عن مكنون، المرجع نفسه، ص٣٤٩.
(٣) العقاد: صلاح، الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٨٢.

تجارة الرق من ناحية ثالثة[١].

اشتهرت مدينة المكلا عاصمة الإمارة الكسادية ومدينة الشحر بتجارة الرقيق في خمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر الميلادي الموافق القرن الثالث عشر الهجري لوقوعهما على ساحل بحر العرب، وعلى المحيط الهندي الطريق الرئيسي للتجارة العالمية قبل وبعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح.

وكانت مدينة المكلا في عهد الإمارة الكسادية مركزاً رئيسياً لتجارة وتجميع الرقيق المستورد من بلدان شرق إفريقيا وزنجبار[٢]، ومنها يتم بعد ذلك نقل الرقيق إلى شمال اليمن والحجاز والخليج العربي[٣]، ومما ساعد على ازدهار تجارة الرقيق في مدينة المكلا عاصمة الإمارة الكسادية حينذاك وجود التناحر القبلي في حضرموت، واندفاع الأمراء والحكام المحليين المتصارعين إلى زيادة أعداد قواتهم العسكرية بشراء العبيد[٤] وتجنيدهم للقتال في تلك الصراعات.

فعندما تأتي السفن المحلية بالرقيق من الجنسين إلى ميناء المكلا يتم إنـزالهم على أكوام من الرمل الأبيض في شرقي المكلا، وليس لهم من الملابس إلا ما يغطي عورتهم، ويظل هؤلاء العبيد في ذلك المكان المسمى (حافة العبيد)، حيث يقوم التجار والدّلالون (الوسطاء)

---

(١) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٢٣. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٠.
(٢) عكاشة: المرجع نفسه، ص١٢٣.
(٣) بامطرف: في سبيل الحكم، ص١٢٣.
(٤) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٢٤.

بنقلهم إلى سوق النخاسة في المدينة كالأغنام في الصباح، ويعودون بهم إلى ذلك المكان في المساء[١].

بدأت بريطانيا بمحاربة تجارة الرقيق في حضرموت منذ عهد المقيم السياسي البريطاني البريجادير «ويليام ماركوس كوجلان» (W. M. Coghlan)، الذي قام بزيارة رسمية إلى مدينتي الشحر والمكلا في عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م حيث وجد تجارة الرقيق رائجة فيهما وبصفة خاصة في مدينة المكلا[٢]، وقد أبدى النقيب صلاح بن محمد الكسادي تخوفه من هذه الزيارة لتزامنها مع المحاولات البريطانية لمحاربة تجارة الرقيق في المنطقة إلا أن البريجادير «ويليام كوجلان» طمأن النقيب الكسادي موضحاً أن الغرض من هذه الزيارة هو إقامة علاقات صداقة بينهما[٣]، ولكنها في حقيقة الأمر كانت لغرض معرفة مدى حجم تجارة الرقيق في مدينة المكلا، وليست لمجرد الصداقة كما كان يزعم البريجادير «ويليام كوجلان»، كما أنها جاءت أيضاً بناءً على ما جاء في التقرير الذي أعده الكابتن «هينز»[٤] عن المنطقة في عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م[٥].

---

(١) الملاحي: المذكرة التاريخية، المصدر السابق، ص٢٥٤، ٢٥٥. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٤٧.

(٢) عكاشة: المرجع السابق، ص١٢٣. مكنون: المرجع نفسه، ص٣٥٠.

(3) Ingrams: Droeen, and Ingrams, Leila, of. Cit,V. 3, P557.

(٤) أشار التقرير الذي أعده «هنز» إلى وجود (٧٠٠) فتاة نوبية تعرض في سوق العبيد بالمكلا للبيع بسعر يتراوح ما بين (٧ - ٢٥) جنيهاً، نقلاً عن مكنون: المرجع السابق، ص٣٥٠.

(٥) مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٠.

ومن أجل تحقيق الأهداف والمصالح البريطانية في المنطقة عاد البريجادير «كوجلان» مرة أخرى إلى مدينتي المكلا والشحر في عام ١٢٨٠هـ/ ١٤ مايو ١٨٦٣م حيث تمكن في ذلك اليوم من إبرام اتفاقيتين الأولى مع الكسادي في المكلا، والثانية مع ابن بريك في الشحر، تعهدا فيهما بمنع تجارة واستيراد الرقيق إلى إمارتيهما، وقد وقّع النقيب صلاح بن محمد الكسادي بنفسه على هذه الاتفاقية التي نصت على البنود الآتية:

١- التزام النقيب صلاح بن محمد الكسادي بعدم استيراد الرقيق أو تصديره داخل أراضي الإمارة الكسادية .
٢- تعهد النقيب الكسادي بمنع رعاياه من ممارسة تجارة الرقيق .
٣- يوافق النقيب الكسادي على إعطاء السفن البريطانية حق تفتيش السفن الواردة إلى موانئ الإمارة الكسادية والخارجة منها ومصادرة ما بها من رقيق[١] .

وعلى الرغم من توقيع النقيب الكسادي والأمير ابن بريك هاتين المعاهدتين، فإن تجارة الرقيق لم تتوقف إلى مينائي المكلا والشحر، فقد لاحظت السلطات البريطانية المخولة بمحاربة تجارة الرقيق ومراقبة السفن العربية القادمة من شرق إفريقيا إلى الخليج العربي، أنها كانت تغير اتجاهها في البحر لتفريغ حمولتها من الرقيق في ميناء المكلا أو

(١) يوأيتشيسين: مجموعة معاهدات والتزامات، المرجع السابق، ص٢٠٠، بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٦٢، ١٦٣. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٢٦٤.

الشحر، ثم يسوقون العبيد سيراً على الأقدام حتى مسقط في عمان[١]، ويعود ذلك في رأي الباحث إلى عدم التزام النقيب صلاح بن محمد الكسادي بتنفيذ بنود هذه المعاهدة؛ لأن تجارة الرقيق كانت أحد مصادر الدخل للإمارة الكسادية، وأن النقيب لم يوقّع على هذه المعاهدة عن قناعة تامة بمبادئها الإنسانية التي اتخذتها بريطانيا سبباً لتغطية أهدافها الاستعمارية الحقيقية، وإنما بقصد المراوغة وخوفاً من قيام البريطانيين بفرض حصار اقتصادي على بلاده، وملاحقة السفن الكسادية في البحر، فضلاً عن أن النقيب الكسادي لا يستطيع الاستغناء عن تجارة الرقيق لحاجته الماسة للعبيد بتجنيدهم للقتال في قواته العسكرية في ظل الصراعات القبلية القائمة في حضرموت، ناهيك عن أن الاتفاقية كانت مفروضة عليه من بريطانيا ولا يستطيع رفضها أو الاعتراض عليها.

وباستمرار تجارة الرقيق في مينائي المكلا والشحر أرسلت بريطانيا في عام ١٢٩٠هـ/ ٧ أبريل ١٨٧٣م «هنري فرير» (Henry Frere) إلى مدينتي الشحر والمكلا لإجبار حاكميها على التقيد باتفاقية منع تجارة الرقيق، حيث تمكن في هذه الزيارة أيضاً من إبرام معاهدة أخرى مع النقيب صلاح بن محمد الكسادي، نصت بنودها أيضاً على تجديد اتفاقية عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بشأن منع تجارة العبيد لتصبح ملزمة للنقيب الكسادي ولمن يعقبه في هذا المنصب[٢].

(١) العقاد: الاستعمار في الخليج الفارسي، المرجع السابق، ص١١٣. مكنون: المرجع السابق، ص٣٥٠.

(٢) يوأيتشيسين: مجموعة معاهدات والتزامات، المرجع السابق، ص٢٠٢، بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٦٣، ١٦٤. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٠.

وفي رأي الباحث لا تختلف هذه المعاهدة في بنودها كثيراً عن المعاهدة السابقة سوى بإضافة بنود جديدة إليها هي التزام الكسادي ببنود معاهدة مايو ١٨٦٣م، وتعهده عن نفسه وعن خلفائه من بعده في الحكم بمحاربة وإلغاء تجارة الرقيق، والموافقة على إعطاء السفن البريطانية حق القيام بتفتيش ومصادرة السفن الكسادية التي تعمل بتجارة الرقيق.

وتعد بنود هذه المعاهدة بالطبع انتقاصاً للسيادة الكسادية على أراضيها، وتعكس حرص بريطانيا على استمرارية هذه المعاهدة لفترة طويلة لضمان استمرارية السيطرة البريطانية على البحار والطرق التجارية، لا سيما وأن المعاهدة غير مرتبطة بفترة زمنية محددة، فضلاً عن أنه لا يحق للنقيب الكسادي من الناحية القانونية أن يتعهد عن خلفائه من بعده، ناهيك عن أنه لن تكون للنقيب الكسادي سلطة على خلفائه في الحكم من بعده، وبذلك ضمنت بريطانيا لنفسها حق السيطرة والتدخل في شؤون الإمارة الكسادية مسبقاً، وعسى أن يمنع ذلك القوى الأجنبية الأخرى من التدخل في شؤون الإمارة الكسادية.

إن قيام النقيب صلاح بن محمد الكسادي بالتوقيع على هذه المعاهدة إنما جاء - كما يرى الباحث - تحت ضغوط التغيرات في الأوضاع السياسية على الساحة الحضرمية، ومنها إعلان سكان وادي دوعن التمرد على القوات الكسادية، وتصدع الجبهة اليافعية (الكسادية - القعيطية)، وظهور بوادر الخلاف بين الكسادي والقعيطي وانفراط عقد التحالف بينهما بعد فشل الحملة المشتركة للسيطرة على مدينة سيئون معقل الدولة الكثيرية، وظهور الأطماع القعيطية في الأملاك

الكسادية بما فيها المكلا عاصمة الإمارة الكسادية، ومن المحتمل أن النقيب الكسادي أراد بتوقيعه على هذه المعاهدة كسب ود بريطانيا لعلها تكون سنداً له في صراعه المحتمل مع الجمعدار القعيطي حاكم الشحر.

٢- الأسواق التجارية:

ارتبطت الأسواق التجارية الموسمية في حضرموت بزيارات بعض الأولياء والصالحين، فإلى جانب هدفها الأساسي في الاحتفاء بذكرى وفاة الولي، والحفاظ على المراتب الاجتماعية للسادة والمشايخ، فقد كانت أيضاً أسواقاً للتجارة والاتصال بين الناس في مجتمع تسوده النزاعات القبلية[١].

ومن الزيارات التي كانت تقام فيها الأسواق التجارية الموسمية في عهد الإمارة الكسادية زيارة الشيخ مزاحم في بروم، وزيارة السيد مكنون في الحامي، وزيارة السيد المحضار في الديس الشرقية، وزيارة هدون بدوعن... إلخ[٢].

أما الأسواق الرئيسية والدائمة في عهد الإمارة الكسادية فكانت توجد في مدينة المكلا العاصمة، كما توجد أيضاً أسواق صغيرة في الديس الشرقية، والحامي، وبروم، وروكب، حيث ينتشر فيها الدلل، وغالباً ما تجد للقبائل في هذه الأسواق ممثليها من هؤلاء الدلل الذين

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٠٠.

(٢) السقاف: إدام القوت، المرجع السابق، ص١٠٧، ٣٦١. باصالح: مقابلة شخصية، المرجع السابق.

يتولون مساعدة أفراد القبائل في بيع بضائعهم وشراء حاجاتهم من تلك الأسواق، وتخضع أسعار السلع في تلك الأسواق غالباً لقانون العرض والطلب، ولمتوسط الدخل لغالبية السكان[١]، ولم يكن للرسوم في أسواق المكلا نظام معلوم يتم تنفيذه على الجميع، وإنما كان يحددها السماسرة بحسب عرفهم[٢].

وكانت الأسواق التجارية في الإمارة الكسادية تستخدم موازين ومقاييس مختلفة في العملية التجارية، فالموازين المستخدمة كانت القفلة، والرطل، والفراسلة، والبهار، والقوصرة، والمعيار[٣]، أما المقاييس المستعملة فيها فكانت البنان، الشبر، والذراع، والوار[٤]،

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٠٠، ١٠١.
(٢) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ص١٣٦.
(٣) الموازين:
- القفلة: تعادل أربع آنات.
- الأوقية: تعادل الأوقية الإنجليزية.
- الرطل: يعادل الرطل الإنجليزي.
- الفراسلة: عشرون رطلاً.
- البهار: ٣٠٠ رطل إنجليزي.
- القوصرة: ١٨٠ رطلاً من التمر.
- المعيار: سلة تحمل من (٣٠- ٤٠) رطلاً من الوزيف (السمك الجاف).
(٤) المقاييس:
- البنان: يساوي عرض الإصبع.
- الشبر: والجمع أشبار، ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ممتدين.
- الذراع: من طرف أصابع اليد إلى الكرسوع.
- الوار: ياردة واحدة.

في حين كانت السوائل تباع كقاعدة عامة بالرطل[١].

٣- العملة:

كانت العملة المتداولة في حضرموت ومنها الإمارة الكسادية هي الريال النمساوي (ماريا تريزا) المعروف في حضرموت باسم الريال الفرانصة (الفرنساوي)[٢]؛ لأن «نابليون بونابرت» هو الذي أدخله إلى البلاد العربية بعد احتلاله لمصر عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، في حين يرى آخرون بأن التجار الهولنديين هم الذين أدخلوا هذا النقد إلى جنوبي اليمن في نهاية القرن التاسع للهجرة/القرن الخامس عشر الميلادي[٣].

وقد تم صك الريال النمساوي في نهاية عهد الملكة «ماريا تريزا» (١١٣٠- ١١٩٥هـ/١٧١٧- ١٧٨٠م)، ويعود صك القطع المتداولة من هذا الريال في حضرموت والإمارة الكسادية إلى عام ١١٩٥هـ/١٧٨٠م، وتحمل في جهة صورة الإمبراطورة «ماريا تريزا»، وفي الجهة الأخرى شعارات الإمبراطورية الرومانية المقدسة[٤]، ويحتوي الريال على (٤,٣٣,١٣٦٣) وحدة وزن من الفضة تصل إلى ٢٨ جرام بدرجة نقاوة (٦,٥) حيث اعتمدت بلاد اليمن كلها في معاملاتها النقدية على هذا الريال[٥].

---

(١) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص١٧، ١٨.
(٢) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٤٣.
(٣) الحبشي: اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، المرجع السابق، ص٤٢٢. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٢٧٩.
(٤) الحبشي: المرجع نفسه، ص٤٢٣.
(٥) المقطري: عبدالعزيز أحمد سعيد حيدرة، النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٠.

ويعتبر الريال النمساوي العملة الأساسية المتداولة في الإمارة الكسادية والأرقام التي وردت في السجلات المالية والمعاهدات الموقعة بين الكساديين والحكام المحليين الآخرين كانت أيضاً بالريال النمساوي لثقتهم فيه، أما أسباب اكتساب الريال للثقة والقبول باستخدامه عملة رسمية في اليمن وحضرموت ومنها الإمارة الكسادية فهي ما يأتي:

١- المحتوى الفضي للريال، وهي صفة جعلته مفضلاً على غيره من العملات الأخرى، فضلاً عن صفاته المعدنية كاللمعان، وعدم تعرضه للصدى، أو التلف، وتناسق ودقة صناعته .

٢- عدم وجود وحدة نقدية أخرى تنال ثقة المواطنين والقبول باستخدامها[١]، ناهيك عن قدم التعامل بهذه العملة في حضرموت.

٣- احتفاظها في الغالب بقيمتها في كل الأوضاع والظروف تقريباً .

٤- إمكانية استخدامها نقداً وتحويلها إلى حلي عند الحاجة .

على الرغم من أن الريال النمساوي كان العملة الرئيسية المتداولة في الإمارة الكسادية، إلا أن النقيب صلاح بن محمد الكسادي قام بصك عملة معدنية خاصة بالإمارة الكسادية[٢]، بقصد تعزيز الاستقلال المالي للإمارة الكسادية، أسوة بما كان يفعله في السابق زعماء

(١) المقطري: النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث، المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) توجد قطع من هذه العملة اليوم في فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف في الوادي والصحراء (متحف سيئون).

حضرموت الذين صكوا لهم عملات محلية خاصة، من أمثال الحسين ابن عبدالرحمن بن سهل، والسلطان بدر أبو طويرق.

وكانت العملة الكسادية مصنوعة من البرونـز، وهي ذات حجمين يزن الأول (٣,٧) جرام، بينما يزن الثاني وهو الأقل في الحجم (١,٣) جرام، وكان شكلها مستديراً، ويوجد على وجهي العملة نقش لغصني شجرة، كُتب في وسطها على الوجه الأول اسم النقيب صلاح بن محمد الكسادي، بينما كُتب في وسط الوجه الآخر سنة الصك وهو عام ١٢٧٦هـ، ومكان الإصدار وهو مدينة المكلا[١].

كان الغرض من صك العملة الكسادية في رأي الباحث هو أن تكون عملة محلية يتم تداولها كأجزاء للريال النمساوي[٢] من ناحية، ولتعزيز الاستقلال المالي للإمارة الكسادية من ناحية ثانية، ولعدم توفر الفضة اللازمة لطباعة العملة في الإمارة الكسادية من ناحية ثالثة، ثم اهتمامه بتسهيل عملية البيع والشراء بالأجزاء الصغيرة من العملة لعدم توفرها في الأسواق المحلية من ناحية رابعة.

٤- النقل والمواصلات:

اهتم الحضارم منذ القدم بشق الطرق البرية التقليدية للقوافل التجارية والمسافرين ومهدوها وشقوا البعض منها في الجبال، كما

(١) الهيئة العامة للآثار والمتاحف سيئون، توجد عملة النقيب صلاح داخل المتحف، ويوجد صورة لها في الملحق رقم (٢٦)، ص٤٥٤.

(٢) لم تشر المصادر والمراجع التي تم الاطلاع عليها إلى قيمة عملة النقيب الكسادي مقارنة بعملة الريال النمساوي، ولا مكان الصك، ويبدو أنها صُكت خارج حضرموت على غرار العملات الحضرمية الأخرى.

اهتموا بصيانتها، وحفروا الآبار، وأنشأوا المساجد، والاستراحات، والسقايات الخيرية، على طول تلك الطرق البرية[١]، وإدراكاً من الحكام الكساديين بأهمية تلك الطرق بعد توسيع سلطتهم في حضرموت جعلوا الطريق البري الذي كان يأتي عبر الساحل يمر في إطار سوق المكلا - بروم، الحرشيات، ثلة باعمر- بحيث أصبحت مدينة المكلا في دائرة هذه السوق، وتشكل الرافد الأساسي للإمارة الكسادية[٢]، وكانت وسيلة النقل للبضائع والمسافرين هي الجمال والحمير[٣].

ومن أشهر الطرق التي ارتبطت بها الإمارة الكسادية مع مناطق حضرموت المختلفة هي:

١- طريق المكلا - الحرشيات - رعفيت - رشنيت - المدحر -

(١) بامطرف: محمد عبدالقادر، الهجرة اليمنية، مجلة (الثقافة الجديدة)، العدد (٦ - ٧) للسنة الأولى، عدن، ١٩٧٧م، ص٦٢. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر، المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) الجِمال تُستخدم في الغالب لنقل البضائع والمؤن والمسافرين في المسافات الطويلة، أما الحمير فتستخدم للنقل في المسافات القصيرة، ويقوم بعملية النقل أصحاب الجمال (الجمّالة) الذين اتخذوا من عملية النقل حرفة اعتمدوا عليها في حياتهم المعيشية، حيث كان يوجد في المدن الرئيسية في حضرموت جمالة على أهبة الاستعداد للتحرك في حالة وجود المسافرين أو البضائع، وكانت توجد لهم محطات خاصة بهم، وكانت الرحلة من المكلا إلى مدن وادي حضرموت تستغرق أياماً بحسب الظروف وعدد جمال القافلة. الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٧. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٠٤.

غيل الحالكة - بطح باكيلي - هضبة حضرموت - عقبة شناص - وادي دوعن .

٢- طريق المكلا - ثلة - الصفير - الحس - الدهناء - جول عبيد - وادي دوعن - صيف - الهجرين - المشهد - حورة - القطن - شبام .

٣- طريق المكلا - فوَّة - الخربة - البهيش - كنينة - الصدارة .

٤- طريق المكلا - غيل باوزير - سفيلة - ساه - سيئون - شبام[١] .

إن استخدام الجمال والحمير في نقل البضائع والمسافرين من المكلا إلى دوعن ووادي حضرموت عبر الجبال والعقاب الكثيرة، جعل أصحاب الجمال لا يحملونها بمقدار طاقتها على الحمولة والنقل؛ لكي تتمكن من صعود الجبال والعقاب بسهولة ويسر، وتختصر الرحلة، وفي ذلك زيادة في قيمة أسعار السلع في المناطق المنقولة إليها.

كما أن انعدام الأمن في مختلف المناطق بحضرموت، ومنها المناطق التي تمر فيها القوافل والتجارة الكسادية بسبب الصراعات السياسية والقبلية، كان يوجد نظام لحماية القوافل والتجارة يسمى نظام (الخفارة)، وكان يقوم بهذه المهمة رجال القبائل[٢] الذين تمر الطرق

---

(١) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٧٣.

(٢) في طريق وادي دوعن الأيمن تتولى حراسة القوافل والمسافرين فخائذ المراشدة والخامعة من قبيلة سيبان، وفي طريق وادي دوعن الأيسر يقوم بهذه الحراسة فخذ الحالكة، وتختلف أجرة نقل البضائع باختلاف فصول السنة وقرب المسافة. إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٧٥.

والقوافل التجارية في أراضيهم[١].

أما الطرق البرية التي كانت تربط الإمارة الكسادية ببلدان شبه الجزيرة العربية، فكانت تنطلق من أراضي الإمارة الكسادية إلى مدينة شبام في وادي حضرموت، فقد كانت مدينة شبام محطة تجارية مهمة في حضرموت تنطلق منها القوافل التجارية إلى خارج حدود حضرموت[٢].

أما الطرق البحرية فتحتل تجارتها في المدن الساحلية أهمية خاصة، وبما أن معظم أراضي الإمارة الكسادية تقع على طول الشريط الساحلي الممتد من شرمة شرقاً إلى بروم غرباً، باستثناء مدينة الشحر وضواحيها التابعة للإمارة البريكية، ثم الدولة القعيطية فيما بعد، فإنها كانت تسيطر على أهم الموانئ التجارية الواقعة على الشريط الساحلي لحضرموت، وهي موانئ صالحة للملاحة طوال العام، وترد إليها السفن المحملة بالبضائع والمؤن من الخارج باستمرار، فقد كانت ترد إلى موانئ الإمارة الكسادية السفن القادمة من سواحل شرق إفريقيا[٣]، وموانئ البحر الأحمر، وعدن، وزنجبار، والخليج العربي[٤]، وصور، والمهرة[٥].

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٩٩.
(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٠٨.
(٣) المرجع نفسه، ص١٠٩. شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، المرجع السابق، ص٢٤٤.
(٤) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٤.
(٥) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص٨٥.

وكانت وسائل النقل البحري للبضائع والمسافرين هي السفن الشراعية والسنابيك، فالسفن الشراعية كانت تستخدم في نقل البضائع الكبيرة والمسافرين بين الموانئ الكسادية وموانئ البلدان الأخرى، في حين كانت السنابيك تنقل البضائع والمسافرين إلى الموانئ القريبة، وكانت حمولتها قليلة؛ لأن حجمها صغير، وتعتمد في حركتها على الجهد البشري والمجاديف[١].

أما المراسلات والاتصالات بين أجزاء البلاد في الإمارة الكسادية وبين التجار في المناطق الأخرى ووكلائهم في المكلا فكانت تتم عن طريق نقل الرسائل المكتوبة والشفهية مع أصحاب القوافل التجارية[٢]، وتكليف أفراد معينين بنقلها يسمون (مُكْتَبِيْنَ)[٣].

وكان يوجد أيضاً في مدينة المكلا مجموعة من الهنود والصومال مع عائلاتهم يعملون وكلاء لتجارهم في الخارج؛ مما يدل على استيطان بعض الجاليات الهندية والصومالية فيها ومعظمهم من رعايا الحكومة البريطانية.

وفي رأي الباحث كان الحكام الكساديون يهتمون بالنقل والتجارة البحرية أكثر من اهتمامهم بالتجارة البرية، ولعل ذلك يعود إلى موقع الإمارة الكسادية المهم على ساحل بحر العرب، وامتلاك الإمارة

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) إنجرامس: حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م، المرجع السابق، ص٧٦.

(٣) المُكْتَبِيْنَ: مفردها مُكتب وهو الذي ينقل الرسائل المكتوبة والشفهية بين المناطق راجلاً ومختصراً للطريق.

الكسادية لعدد من السفن والموانئ الصالحة للملاحة البحرية، إلى جانب اشتغال مجموعة من الكساديين بالملاحة والتجارة، كما أن صناعة وسائل النقل البحري وصيانتها كانت تتم في موانئ الإمارة الكسادية، وتعد التجارة البحرية المصدر الأساسي من المال للإمارة الكسادية، والتي كانت تفرض رسوماً جمركية على سفن النقل المارة بالموانئ الكسادية، فضلاً عن أن النقل البحري كان يوفر احتياجات الإمارة الكسادية من البضائع والمؤن لا سيما وأن الإنتاج المحلي كان لا يكفي لسد حاجة سكان الإمارة الكسادية من المواد الضرورية.

المبحث الثاني

الأوضاع الاجتماعية في الإمارة الكسادية

أولاً: التركيب الاجتماعي في الإمارة الكسادية:

أ) السكان:

لا توجد إحصائيات ولا معلومات ولا بيانات عن السكان في الإمارة الكسادية، ولكن من الثابت انتقال مجموعات من الناس تدريجياً إلى مدينة المكلا عندما أصبحت عاصمة للإمارة الكسادية، ونمت فيها التجارة، وتوسع فيها العمران، حيث انتقلت إليها مجموعة من سكان المناطق المجاورة والقريبة منها، ومجموعات أخرى من الشحر، وغيل باوزير، ووادي حضرموت، وخاصة من وادي دوعن، ومن عدن، للاستفادة من التسهيلات التجارية التي كانت تقدمها الإمارة الكسادية، كما جاءت إليها أيضاً جاليات هندية وصومالية[١].

وبازدهار التجارة والملاحة والحرف والعمران، وتوفير الأمن والاستقرار، وإقامة العدل بين الناس، ازداد قدوم الناس إلى المدينة والاستقرار فيها، حيث قدّر الكابتن البريطاني «هينز» الذي زار مدينة المكلا عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م عدد سكانها بحوالي (٤٥٠٠) نسمة،

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ص١٤٥. الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٤٩، ٥٠. باحاج: موانئ اليمن وخليج عدن، المرجع السابق، ص٢١٩.

وهو نفس التقدير الذي أورده فيما بعد عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[١].

ب) الفئات الاجتماعية في الإمارة الكسادية:

تكون المجتمع الحضرمي من فئات اجتماعية عديدة يقف السادة العلويون، والمشايخ، والقبائل، بالتتابع في قمة تراتبها الاجتماعي، ثم تأتي بعدهم الفئات الدنيا المكونة من القرار، والمساكين، والضعفاء، والعبيد، والصبيان، حيث تؤدي كل فئة منها وظيفة اجتماعية محددة، ونتيجة لتخلف وجمود الواقع الاجتماعي والاقتصادي فكل فئة اجتماعية كانت تتحرك أفقياً في سلم اجتماعي محدد[٢]، وإن اتفقت مع الفئات الأخرى في بعض مظاهر الحياة العامة، وسبل كسب العيش[٣]؛ وذلك لأن العامل الحاسم في التمايز بين الناس هو العامل الوظيفي والسلالي.

فالفئات الدنيا التي ليست لها أنساب عريقة أو أن أنسابها غير معروفة قد ترتقي وقد تهبط في الهرم الاجتماعي، فعلى سبيل المثال قد يستطيع الفلاح (الضعيف) أن يرتقي إلى مرتبة المساكين، أو يحدث العكس؛ لأن الهبوط والارتقاء في السلم الاجتماعي عند هذه الفئات تحكمه الوظيفة الجديدة التي يشغلها الأفراد أو العائلات، وفي حالة نادرة جداً قد ينضم إلى هذه المراتب أفراد وأسر من المشايخ أو القبائل لأسباب اقتصادية أو اجتماعية، أما السيد فيظل محتفظاً بمرتبته

(١) باحاج: موانئ اليمن وخليج عدن، المرجع السابق، ص ٣١٨.
(٢) انظر الملحق رقم (١٤) شكل يوضح تحرك الفئات الاجتماعية في السلم الاجتماعي بحضرموت، ص٤٤٢.
(٣) بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص١٩٥.

الاجتماعية حتى ولو اضطر إلى امتهان حرفة معينة، أو إلى حمل السلاح والاستقرار في مناطق القبائل البدوية[١].

وكان التركيب الاجتماعي في الإمارة الكسادية جزءاً من التركيب الاجتماعي في حضرموت لامتدادها في أجزاء كبيرة منها، ويتكون التراتب الاجتماعي في الإمارة الكسادية على النحو الآتي:

١) السادة العلويون:

يقف السادة العلويون[٢] في قمة درجات المراتب الاجتماعية في الإمارة الكسادية، كما هو الحال في بقية المناطق الحضرمية، وكانوا من أكثر فئات المجتمع الحضرمي علماً وثقافة وتأثيراً ومالاً حصلوا على معظمه من هجرة بعضهم إلى الهند، وجنوب شرق آسيا، وجزر المحيط الهندي، وشرق إفريقيا، ويطلق على العالم والمسن والصالح منهم لقب (الحبيب)، وعلى زعيمهم لقب (المنصب)[٣].

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٢٥. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٢) العلويون: ينتسبون إلى جدهم علوي بن عبدالله بن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريظي بن جعفر الصادق، ويرتفع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي وصل إلى حضرموت من البصرة عام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م برفقة ابنه عبدالله وحفيده بصري وجماعة من عائلته وأتباعه، حيث أقام أولاً في قرية الجبيل بوادي دوعن، ولم تطل به الإقامة هناك، فغادرها إلى الهجرين، ومنها إلى قارة بني جشير، ثم اتجه إلى الحسيسة، واستقر بها حتى وفاته عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م. انظر باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٥٦ - ٦٥.

(٣) باحنّان: جواهر تاريخ الأحقاف، المرجع السابق، ج ٢، ص٥٧، ٥٨. بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص١٣٥.

وكان السادة يقومون بمهام دينية واجتماعية وسياسية عديدة في المجتمع، حيث مكنتهم من القيام بذلك عوامل عديدة أهمها ما يأتي:

١- انتسابهم إلى بيت الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .
٢- اشتغالهم بالأمور الدينية وبالإشراف على مؤسساتها .
٣- قيامهم بمهام الإصلاح بين الناس، وبحل النزاعات القبلية، وإبرام الهدنة والصلح بين القبائل المتحاربة .
٤- قيام مناصب السادة بحماية اللاجئين إلى القرى التي يقيم فيها السادة، والمعروفة بـ(الحوط) ومفردها حوطة[١] .
٥. كانت بيوت مناصبهم مفتوحة دائماً للضيوف والنزلاء والزوار[٢] .

ومن أشهر أسر السادة العلويين في الإمارة الكسادية آل العيدروس، وآل الشيخ أبي بكر، وآل مكنون، وآل باهارون، وآل المقدي، وآل الحداد، وآل مولى الدويلة، وآل مشهور، وآل عيديد، وآل بن إسماعيل السقاف[٣].

لعب السادة العلويون من آل العيدروس دوراً للتوسط في حل النزاع الذي نشب بين الإمارة الكسادية والإمارة البريكية في عام

(١) الحوطة: مكان يختطه رجل صالح ويعتبر من لجأ ولاذ به أمن من أعدائه، وتكون في الغالب خاضعة لنفوذ السادة العلويين. بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص١٣٥.
(٢) بن عقيل: عبدالعزيز جعفر، اللوحة العامة للتركيب الأثنوقبلي في حضرموت، مجلة (الثقافة)، العدد (٢١)، يناير فبراير ١٩٩٦م، ص١٤.
(٣) باصالح: مقابلة شخصية، المرجع السابق. الجيلاني: مقابلة شخصية، المرجع السابق. بحرق: صالح سعيد، مقابلات مع عدد من سكان الديس الشرقية بتاريخ ١٢/١٠/٢٠٠٩م.

١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م عندما هاجمت القوات البريكية مدينة المكلا، وتم عقد صلح بين الإمارتين استمر إلى عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، ثم نشبت الحرب مرة ثانية بين الإمارتين فتوسط العلويون مرة أخرى عن طريق طاهر بن الحسين العلوي الذي عقد صلحاً بينهما[١]، وعلى الرغم من قيام العلويين بهذا الدور إلا أن آل كساد عينوا مسؤولين وقضاة من غير العلويين، ولعل ذلك يعود إلى ارتباط العلويين الوثيق بالدولة الكثيرية، ولكن نقباء آل كساد كانوا يقدرون رجال العلم من العلويين.

ومن صفات العلويين في حضرموت والإمارة الكسادية أنهم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم إلا في موضوع زواج بناتهم فقط، إذ لا يحق للعلوية الزواج بغير العلوي متمسكين بمبدأ الكفاءة في النسب[٢]، ولكنهم يبيحون لذكورهم ذلك، وقد لاحظ الرحالة الهولندي «فان در ميولين»[٣] أن العبيد، والخدم، والأطفال، والجنود، والمواطنين العاديين، يجتمعون في مجلس الأغنياء يأكلون معاً، ويشربون من نفس الإناء، ومن نفس القهوة، وفي نفس الفناجين، ويشاركون في نفس الحديث[٤].

(١) السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج ٢، ص١٥٨.
(٢) سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١١٥.
(٣) فان در ميولين رحالة هولندي قدم إلى حضرموت عام ١٩٣١م، وألف كتاباً احتوى وصفاً حول مدن حضرموت التي زارها، وقد كان سبب زيارته إلى حضرموت للتعرف على عادات الحضارم في موطنهم الأصلي، وهم الذين يسيطرون على الاقتصاد في بعض المستعمرات الهولندية، واستمرت زيارته لحضرموت ستة أسابيع تقريباً.
(٤) ميولين: دانيال، فان در، فيسمان، هـ. فون، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة د. محمد سعيد القدال، عدن، ١٩٩٨م، ص ٨. الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، ص٤٠.

٢) المشايخ:

يأتي المشايخ[١] بعد السادة في التراتب الاجتماعي، وكانوا معروفين بالتفقه في العلوم الدينية والتدريس، حيث لعبوا أدواراً مهمة في تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي[٢]، وهؤلاء من غير شيوخ القبائل، ويرفع المشايخ أصولهم إلى رجال العلم والدين في حضرموت أو إلى النازحين من خارجها، وكثيراً ما يربط النازحون أنسابهم إلى الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم، أو إلى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن المشايخ الذين يرفعون نسبهم إلى الصحابة آل العمودي المنسوبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وآل الخطيب المنسوبون إلى عباد بن بشر الأنصاري رضي الله عنه، وآل باوزير الذين ينتسبون إلى بني العباس، أما المشايخ القدماء فيفتخرون بانتمائهم إلى كندة مثل آل باحنان[٣]، وآل بافضل الذين ينتمون إلى قبيلة مذحج المشهورة[٤].

لقد كان المشايخ قبل قدوم المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت يحتلون المرتبة الأولى في التركيب الاجتماعي للمجتمع

---

(١) تعني لفظة شيخ كل من جاوز الخمسين عاماً وظهر عليه الشيب. ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، ج٣، (مادة شيخ)، ص٥٠٩.

(٢) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٢١. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت، المرجع السابق، ص١١٣.

(٣) باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، المرجع السابق، ص١٩. بامطرف: المرجع نفسه، ص١١٤.

(٤) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٣١، ٣٢.

الحضرمي حتى ثلاثينيات القرن الرابع الهجري الموافق أربعينيات القرن العاشر الميلادي، بعدها تنحوا عن هذه الصدارة الاجتماعية للسادة العلويين تقديراً لنسبهم النبوي الشريف؛ ولذلك ظلت العلاقة طيبة بينهم، أما فيما يتعلق بعلاقة المشايخ بفئات المجتمع الأخرى فإن المشايخ أقل تزمتاً من العلويين من حيث التزاوج رجالاً ونساءً مع القبائل وغيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى[١].

وقد تمتع المشايخ بامتيازات من الحكام ورؤساء القبائل منها: الإعفاء من العوائد واعتبار قراهم مناطق مأمونة، كما قام بعضهم بمهمة خفر القوافل والمسافرين، ومن أشهر أسر المشايخ في أراضي الإمارة الكسادية هم آل باعباد، وآل باشراحيل، وآل بامخرمة، وآل المسجدي، وآل باعمر، وآل باوزير، وآل العمودي[٢].

٣) القبائل:

كان المجتمع الحضرمي قبلياً ومحكوماً بنظام قبلي عريق وثابت ومتعارف عليه، ويتولى رئاسة القبيلة[٣] أحد أفرادها يقال له (مقدّم) يتم بالترشيح، ثم التعيين في اجتماع تعقده القبيلة لذلك الغرض،

---

(١) بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص١٩٦، ٢٢٥. بن دغر: حضرموت والاستعمار البريطاني، المرجع السابق، ص١٣٩.

(٢) بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت، المرجع السابق، ص١١٣، ١١٤.

(٣) القبيلة: لغة هم بنو أب واحد، وجمعها قبائل، وفي العرف القبائل هم حملة السلاح فكل من يحمل السلاح ويقاتل به يقال له (قبيلي)، وتطلق أيضاً على البادية الذين انتقلوا إلى حياة المثوى وهم يحملون السلاح. الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، المرجع السابق، ص٣٩.

وغالباً ما كانت الزعامة القبلية بالتوارث أباً عن جد، وكان رئيس القبيلة في منطقته بمثابة الحاكم أو السلطان[١] ولا يتدخل في الحياة اليومية للأفراد، وإنما كان يمثل القبيلة في كل الأمور، ويقوم بقيادتها في الحروب، ويفصل في الخصومات التي تنشب بين أفرادها[٢].

وتأتي القبائل في المرتبة الثالثة من السلم الاجتماعي في الإمارة الكسادية كسائر أنحاء حضرموت، وكانوا يمثلون القوة الرئيسية في المجتمع بحكم الرابطة القبلية وامتلاكهم للسلاح، ولكنهم كانوا يستعينون بالسادة والمشايخ لحل النزاعات القبلية التي تنشب فيما بينهم.

وكانت نظرة القبائل لبعض الأعمال والمهن نظرة احتقار وازدراء، إذ لا يجوز في نظرهم أن يمارس القبلي الأعمال اليدوية وغيرها من الحرف[٣] على الرغم من اشتغال عدد من أفراد القبائل بالتجارة، والزراعة، وتربية الماشية، والقيام بحراسة وحماية القوافل التجارية والمسافرين وغيرها[٤].

ويحق لأفراد القبائل الزواج من الفئات الاجتماعية التي تأتي بعد القبائل في الترتيب الاجتماعي، إلا أن هذا الحق خاص بالذكور فقط

---

(١) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٢١.
(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٣٣.
(٣) المرجع نفسه، ص٣٥. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص٢٢. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٣٩، ٣٤٩.
(٤) عكاشة: المرجع نفسه، ص٢٤.

من دون النساء، إذ لا يحق لهن الزواج إلا من أفراد القبيلة أو من الفئات العليا كالسادة والمشايخ.

ومن أهم القبائل في الإمارة الكسادية هم العكابرة، وبنو حسن، والجوهيون، والحموم، وسيبان، والعديد من الأفخاذ اليافعية أبرزها الكسادي، اليزيدي، الحوثري، الكلدي، اليهري، السعدي، الطفي.

٤) الجنود:

ومعظمهم من قبيلة يافع التي ينتمي إليها حكام الإمارة الكسادية، كما يوجد مجموعة من عبيد الكسادي، ومن القبائل التابعة للإمارة الكسادية، وقد قُدر عددهم في الجيش النظامي للإمارة الكسادية في عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م بحوالي (ألفين ومائتي) جندي، وكان ينضم إلى هذا العدد أيضاً في حالة تعرض الإمارة الكسادية للهجوم من مجموعات غير نظامية من قبائل المناطق المجاورة، وآخرون من أفخاذ قبيلة يافع كانوا يستلمون رواتب شهرية من الحكومة الكسادية[١]، وبما أنهم كانوا يدافعون عن الإمارة الكسادية وسكانها فإنهم يأتون في المرتبة الرابعة من السلم الاجتماعي في الإمارة.

وكان سلاح هؤلاء الجنود هي البنادق، والسيوف، والخناجر، وبعض المدافع العثمانية التي غنموها من الحملة الكثيرية العثمانية الفاشلة على مدينة الشحر في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٢].

---

(١) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٢٨. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٢) باحسن: نشر النفحات المسكية، المصدر السابق، ج ٢، ص٢٠٤. عكاشة: المرجع نفسه، ص ٢١.

٥) القرار (القرويون):

والمقصود بهم سكان القرية أو المدينة المستقرون فيها منذ القدم تمييزاً لهم عن الوافدين الجدد إليها، ويندرج تحت مفهوم القرار التجار، ومعالمة البناء، والمدرسون، والكتبة[١]، وللتجار نفوذ قوي على الحكام والولاة والقضاة والموظفين؛ لأنهم يدفعون الضرائب والإتاوات للإمارة الكسادية، ومنها يحصل أيضاً حكامها على المعونات والقروض المالية[٢].

٦) المساكين:

يأتي المساكين بعد القرار في السلم الاجتماعي، وهم الحرفيون كالحدادين، والنجارين، والصاغة، وصائدي الأسماك، وعمّال الغزل والنسيج (الحياكة)، والدلل، والدباغين[٣]، وعمّال البناء، والحلّاقين، والطبّاخين، والمغنين، والحجامين وغيرهم، ويتزاوج أفراد هذه الفئة الاجتماعية فيما بينهم البين، ويتواجدون في المدن والقرى حيث يقدمون الكثير من الخدمات والسلع وغيرها للمجتمع.

٧) الضعفاء:

وتشمل هذه الفئة الاجتماعية الفلاحين الذين يعملون في أراضي ملّاك الأرض بنظام المحاصصة، كما تشمل أيضاً الفلاحين الذين يتملكون مساحات صغيرة من الأراضي الزراعية، ويسمون بالضعفاء

---

(١) بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص٢٢٥.
(٢) مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٧.
(٣) بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص٢٢٥.

لعدم قدرتهم على حماية أنفسهم بقوة السلاح[١]؛ لأن مزارعهم تقع خارج المدن ولا تتوفر فيها حماية الدولة في تلك الفترة.

٨) العبيد:

يرجع أصل العبيد إلى بقايا الأحباش في اليمن، أو من العبيد المجلوبين من سواحل شرق إفريقيا[٢] إلى حضرموت لتجنيدهم في الصراعات القبلية، وكانت تجارة الرقيق رائجة في مدينة المكلا[٣] بالرغم من اختفائها في أغلب بقاع العالم، وبذلك ظل العبيد يشكلون جزءاً من التركيب الاجتماعي في الإمارة الكسادية[٤].

وقد انحصر استخدام العبيد في الإمارة الكسادية كما هو في بقية نواحي حضرموت في الأعمال الآتية:

أ- جنوداً في جيوش الحكام، وكان الأهالي يطلقون على هؤلاء المجندين في حضرموت اسم (الحاشية) أو (المماليك)[٥].

ب- القيام بالحراسة والخدمة في البيوت ورعاية الماشية.

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٣٨. ردينوف: عادات وتقاليد حضرموت، المرجع السابق، ص٢٧٧.

(٢) الجعيدي، المرجع نفسه، ص٣٨. عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) عكاشة: المرجع نفسه، ص٢٥.

(٤) مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٤٧.

(٥) عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، المرجع السابق، ص١٢٤.

ج- استخدامهم عمالاً في مستودعات الخزن العسكرية[١].

على الرغم من أن العبيد يقعون في أسفل السلم الاجتماعي في البلاد إلا أنهم يتميزون بالشجاعة[٢]، وكانوا يلاقون معاملة حسنة[٣] من أسيادهم، فلا يكلفونهم بما لا يطيقون، ويأكلون معهم ويشربون، وقد يتولى العبيد مناصب عليا في الإدارة والجيش لاعتماد الحكام عليهم في حفظ الأمن والاشتراك في الحروب[٤].

كانت العلاقة بين العبيد وملّاكهم قوية بحكم أهمية العبيد في المجتمع، كما أنه من الصعوبة بمكان تحديد كل الأسر التي ينتمي إليها العبيد؛ لأن العديد منهم حملوا أسماء أسر ملّاكهم وأسيادهم، أو تغيرت أسماء أسرهم الحقيقية إلى أسماء أخرى، أو إلى أسماء من كلمتين الثانية منها كلمة (الله)، فضلاً عن أنهم لا ينتمون إلى أب واحد، أو منطقة واحدة في إفريقيا حين تم جلبهم منها، ناهيك عن أن

(1) Ingrams,Dooreen,and Ingrams Leila,OP,cit, V. 3. P557

(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٣٩. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٩.

(٣) لقد وصل الأمر ببعض ملاك وأسياد العبيد أنهم كانوا يقومون بخدمة العبيد إذا كبروا في السن أو أقعدهم المرض، فيوفرون لهم من يقوم بغسل ملابسهم، وكنس غرفهم، وتوفير محتاجاتهم، ولا سيما في حالة لا يوجد من يعيل هؤلاء العبيد، ويعود ذلك في رأي الباحث إلى التزام الحضارم بتعاليم الإسلام، وما يتمتعون به من صفات أخلاقية، كما أنه يندرج أيضاً في إطار رد الجميل إليهم بعد أن أفنوا أعمارهم في خدمة أسيادهم، ولا يزال بقايا هذه العلاقات قائمة بين العبيد وأسيادهم إلى اليوم.

(٤) الملاحي: المذكرة التاريخية، المصدر السابق، ص٢٥٥.

بعضهم ينسبون إلى البلدان التي جلبوا منها كـ(النوبة) في جنوب السودان.

٩) الصبيان:

ويطلق عليهم أيضاً (الأخدام)، وكانوا ولا يزالون يقعون في أسفل السلم الاجتماعي، وكان بعضهم يعمل في الزراعة بأجر عيني أو نقدي، والبعض الآخر يعملون كعمال خدمات، وينقسم الصبيان إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هم صبيان الجميع ويقومون بخدمة كل المنطقة أو القرية أو الجماعة في مقر سكنهم، والمجموعة الثانية هم صبيان العوائل أو الأسر الذين يقومون بخدمة إحدى العوائل من الفئات العليا في المجتمع مقابل منحهم إكراميات متنوعة وضمانات بالحماية وعدم المساس بهم[١].

ويظل أفراد هذه الفئة في مرتبتهم الاجتماعية المتدنية مهما تغيرت أوضاعهم الاقتصادية، خاصة وأن اختلاف المهن كان عاملاً في تعزيز الفوارق الاجتماعية أن اختلاف المهن كان عاملاً.

وفي رأي الدارس تشكل فئات القرار والمساكين والضعفاء في الأساس فئة واحدة، وهي الفئة المنتجة في المجتمع؛ ولذلك يوجد تداخل في أسماء العائلات المنتمية إلى هذه الفئات نتيجة لحركة الصعود والهبوط في درجات السلم الاجتماعي، لا سيما وأن تصنيف

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٣٩. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٣٥٩.

هذه الفئات الثلاث يعتمد على نوع الحرفة أو المهن التي تمارسها، فقد تجد أفراداً من عائلة كانوا ضمن فئة القرار، ثم أصبحوا في فئة الضعفاء أو المساكين، وقد يحدث العكس تماماً ولم يكن الهبوط إلى السلم الاجتماعي محصوراً في هذه الفئات الثلاث، بل كان موجوداً أيضاً بين القبائل والمشايخ الذين يمارسون المهن والحرف التي تمارسها فئات القرار والمساكين والضعفاء يعتبرون جزءاً من هذه الفئات الثلاث، فعلى سبيل المثال ينتسب آل باجبير وآل مرتع في الأصل إلى قبيلة كندة، ولكنهم ينتمون حرفياً إلى هذه الفئات الثلاث.

وكان من أسباب هبوط الفئات العليا إلى مراتب الفئات الدنيا الفقر والضعف الذي كان يحل بكثير من أفراد الفئات العليا، أما الفئة الوحيدة الثابتة في مرتبتها الاجتماعية العليا فكانت فئة السادة العلويين التي لم تتزحزح من موقعها في السلم الاجتماعي، بل وتمتعت بعلاقات جيدة مع كل الفئات الأخرى في المجتمع، كما أن الصبيان يبقون أيضاً على مرتبتهم الاجتماعية مهما بلغت درجة مستواهم الاقتصادي، كما ظل العبيد أيضاً في إطار فئتهم مهما تبوأوا من مناصب سياسية وعسكرية عليا في الإدارة والجيش.

ج) التعليم:

يقدم المؤرخ صلاح البكري في حديثه عن التعليم في حضرموت قبل الاستقلال صورة قاتمة عن الأوضاع فيها حيث كانت الجهالة ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها وتنخر جسم الشعب، وتهدد كيانه وتدفعه إلى حياة أشد اسوداداً من ظلام الليل، وكان الحضرمي إذ ذاك يرنو إلى من حوله ببصر مشدوه وفم فاغر لا يكاد يميز بين خرافة

وحقيقة[١]، ومن ذلك يتبين أن الأوضاع التعليمية في حضرموت كانت سيئة قبل تلك الفترة، وأن الأوضاع التعليمية في عهد الإمارة الكسادية كانت أسوأ من ذلك بكثير، وذلك لوجود فارق زمني كبير مدة قرن من الزمن أو أكثر بين فترة الأوضاع التعليمية المزرية التي تحدث عنها المؤرخ صلاح البكري وبين فترة الأوضاع في عهد الإمارة الكسادية التي انتهت في عام ١٢٩٩هـ/ نوفمبر١٨٨١م .

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت توجد في الإمارة الكسادية بعض الكتاتيب[٢]، كما كان يتم التعليم أيضاً في بعض زوايا المساجد حيث يتعلم الأطفال مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب، وتلاوة القرآن الكريم، ودراسة بعض الكتب الدينية الأخرى مثل التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها، ولم يكن التعليم متاحاً لكل فئات المجتمع فقد كان التعليم بين القبائل وفي الأرياف معدوماً، وكانت القبائل لا تحب التعليم لاعتقادها بأنه يزرع الخوف ويضعف القلب، وكان السادة والمشايخ أكثر الفئات الاجتماعية اهتماماً بالتعليم في حضرموت[٣]

(١) حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص١٨٣.

(٢) الكتاتيب: هي مؤسسة تعليمية تعادل في مستواها الأدنى التعليم الابتدائي، وارتبطت بالمجتمع الإسلامي، وكانت منتشرة في معظم مناطق حضرموت إلا أنها ليست كلها في مستوى واحد، فتكثر في مناطق وتندر في أخرى، ذلك حسب المستوى الحضاري لهذه المناطق، وتسمى في حضرموت باسم (المعلامة) أو (العُلمة)، المرجع نفسه، ص٦٥.

(٣) باوزير: سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م، ص٨٩. بامطرف: المعلم عبدالحق، المرجع السابق، ص٢٢١.

ومنها الإمارة الكسادية لارتباط مصالحهم به، أما بقية فئات المجتمع الأخرى فتتلقى التعليم من حلقات الدرس والخطب والمواعظ في المساجد من الواعظين والمرشدين[١].

أما تعليم المرأة فكان يقتصر على تعريفها بالواجبات الدينية من صلاة وصوم، وما يتعلق بشؤون الحيض والنفاس والطهارة، وتتلقى ذلك التعليم عن طريق أمها أو أبيها أو أحد أقاربها، بالإضافة إلى ما تسمعه من بعض النساء الأخريات في تلك الحدود الضيقة من المعلومات بهذا الشأن، وبشكل عام كان أهل حضرموت ينظرون إلى تعليم المرأة بأنه ليس حقاً لها بل يعتبرونه من الأمور القبيحة في تلك الفترة[٢].

كان الهدف من التعليم هو تعريف الناس بأمور العبادات والواجبات الدينية، وتهذيب النفس وتطهيرها من أدران الشر، والحث على مكارم الأخلاق، وإسداء النصح للناس، ونشر مبادئ الدين الإسلامي، ولم يكن للدراسة فترة زمنية محددة ولا برامج أو مناهج يستفيد منها الطلاب والمدرسون وإنما كان ذلك متروكاً للطرق التقليدية الموروثة[٣].

وقد أشار المؤرخ الحضرمي أحمد عبدالقادر الملاحي إلى

---

(١) باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص ٩٨، ٩٩. الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٤٤٦.

(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٩١ - ٩٥.

الأوضاع التعليمية في عهد الإمارة الكسادية بقوله: «لم يكن في عهد الأمراء الكساديين في المكلا معهد علمي يذكر سوى ما يقال له علمة[١]»[٢].

ويرى الباحث أن التعليم في عهد الإمارة الكسادية لم يشهد تطوراً كبيراً، وأنه كان يمثل انعكاساً لحالة التعليم المتخلفة في كل أرجاء حضرموت، إلا أن نقباء آل كساد كانوا يقدّرون علماء الشريعة الإسلامية ويستشيرونهم في شؤون الإمارة، ويعتبر ما أورده الملاحي دليلاً على وجود بعض المؤسسات التعليمية مثل الكتاتيب (العلمة)[٣]، وكان التعليم فيها يتم بالطرق التقليدية المتعارف عليها في حضرموت، والتي كانت تعمل في كثير من الكتاتيب المنتشرة في أرجائها المختلفة.

كما أسهمت المساجد أيضاً في توعية سكان الإمارة الكسادية من خلال خطب الوعظ والإرشاد وحلقات الدرس التي يقيمها الواعظون والمرشدون والأئمة في المساجد المختلفة ومنها مسجد الروضة، مسجد النور، مسجد بازرارة، جامع البلاد وغيرها من المساجد المنتشرة في الإمارة الكسادية، ويُرجع الباحث عدم اهتمام آل كساد

---

(١) عُلْمة: محل معين من بيت المعلم يتعلم فيه الصبيان، يتعلمون الحروف الهجائية، والقراءة، والكتابة، وقراءة القرآن بواسطة المصحف بأجرة محددة.

(٢) المذكرة التاريخية، المصدر السابق، ص٢٥٧.

(٣) لم يعثر الباحث على أسماء الكتاتيب (المعلامة) في عهد الإمارة الكسادية، ولعل ذلك يعود في تقديره إلى أن الكتاتيب لا تستمر طويلاً بل تنتهي بمجرد وفاة صاحبها، كما أن المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها لم تشر إلى ذلك.

بإقامة الأربطة الدينية إلى عدم استقرار الأوضاع في الإمارة الكسادية، وتركيز اهتمام حكامها بالتجارة والملاحة البحرية بحكم اشتغالهم بها واعتماد إيرادات الإمارة الكسادية عليها.

د) الصحة:

انتشرت في عهد الإمارة الكسادية بعض الأمراض منها الرمد، والجدري، وأمراض العيون خاصة (التراكوما)، بالإضافة إلى أمراض الروماتيزم للمفاصل، و(النيديفو)[١]، وأمراض القرحة، ومرض الجذام في دوعن وغيرها من الأمراض الأخرى[٢].

ولم توجد مستشفيات، أو مراكز صحية، أو حتى أطباء وأدوية في الإمارة، وقد ظل هذا الحال قائماً في البلاد حتى بعد زوال الإمارة الكسادية لأكثر من ستة عقود من الزمان .

ولذلك كان الناس يستخدمون الأساليب التقليدية والأعشاب المحلية في علاج العديد من الأمراض، حيث اكتسبوا بعض الخبرات في هذا المجال، فقد كانوا يعالجون المواطنين باستخدام الأعشاب المحلية مثل شجرة (الحرمل) التي تستخدم لعلاج آلام الركبة، وشجرة (القُطُبْ) بعد غليها بالماء وتستخدم لعلاج الرواسب، ونبات (الشمار) ويستخدم لعلاج انتفاخ البطن، و(الصبر) ويستخدم لعلاج البثور وقتل

---

(١) النيَّديُفو: مرض يبتدئ بضروب شديدة وكفت في الأعضاء، مع حمّى شديدة مطبقة، وتمكث شدته بالإنسان نحو ثلاثة أيام، ثم يهون بعد ذلك.

(٢) الكندي: العدة المفيدة، المصدر السابق، ج ٢، ص٣٢١. مكنون: أثر هارولد إنجرامز، المرجع السابق، ص٤٣٧.

الديدان والبكتيريا في المعدة[١].

كما كانوا يستخدمون أيضاً الكي بالنار[٢] لمعالجة الأورام، والحجامة[٣] لمعالجة أمراض المفاصل والرأس والفالج (الشلل)، ونبات (الضويلة) في علاج عسر الهضم (الحالب) وغيرها من الأمراض الأخرى، كما كانوا يستخدمون أيضاً الدهانات والكمودات في علاج أمراض الريح[٤]، كما استفاد سكان الإمارة الكسادية من المياه المعدنية الموجودة في بعض معاييننها في علاج بعض الأمراض كالبثور، والجروح السرطانية المزمنة، والإمساك، والسكري[٥] وغيرها من الأمراض الأخرى.

وهناك أمراض أخرى يدّعي السحرة بأنهم يعالجونها باستخدام

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٥٧. الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، المرجع السابق، ص١٦٨.

(٢) الكي: يحدث بوضع قضيب معدني في النار حتى ترتفع درجة حرارته، ثم يوضع في مكان الألم أو الورم في الجسم، ولا تزال هذه الطريقة تُستخدم إلى اليوم في علاج مرض (عِرق النساء)، و(القصر)، والألم في العمود الفقري.

(٣) الحجامة: ويقوم بها الحجّامون الذين يقومون بإحداث عدة خدوش صغيرة في جسم الإنسان ليسيل منها الدم، وغالباً ما تكون الخدوش في الظهر، أو أعلى الرقبة من الخلف، أو في الرجل، وتُستخدم الحجامة لمعالجة مرض ضغط الدم أو الدوار، وبحسب الاعتقاد السائد يعتبر الدم النازف فاسداً، أو زائداً على حاجة الجسم.

(٤) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٥٨.

(٥) باهارون: شذرات من تاريخ الحامي، المرجع السابق، ص١٢.

الجن والشياطين مثل (الكفحة)، والحالات النفسية، والكساح أو الشلل[١]، وقد ساعد على ذلك تدني الوعي وانتشار الجهل، ولا يزال هذا الأسلوب متبعاً عند البعض إلى اليوم في حضرموت على الرغم من وجود المستشفيات، وغالباً ما يقوم بالعلاج السحرة والمشعوذون، ويتم بإعطاء المريض بعض الحروز والتمائم والتعويذات، وهي نصائح شفهية أو مكتوبة يضعها المريض في مكان معين من بيته أو جسمه، ويحتوي هذا النوع على الكثير من الوصفات العلاجية الغريبة، والتي قد تُولد قناعة لدى المريض تؤدي أحياناً إلى شفائه من المرض[٢]، ولكن كانت توجد أيضاً طريقة أخرى لعلاج هذه الأمراض وتتم بقراءة الآيات القرآنية على المريض، وبعض الأذكار والأدعية الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكون لوجه الله في الغالب[٣].

وفي رأي الباحث لم تشهد الأوضاع الصحية أي تطور في عهد الإمارة الكسادية التي لم تهتم بذلك، وهي تمثل أيضاً انعكاساً للأوضاع التعليمية السيئة في الإمارة الكسادية، ولذلك اعتمد سكانها على الطرق التقليدية في علاج أمراضهم المختلفة مستفيدين في ذلك من الخبرات السابقة لهم في هذا المجال، كما أن استخدام أسلوب العلاج عند المشعوذين الذين كانوا يستفيدون من المرضى مالياً يعود

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٥٨. الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٩٩.

(٢) الجعيدي: المرجع نفسه، ص٥٨.

(٣) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٩٩.

إلى جهل المواطنين بتعاليم الشريعة الإسلامية، وكان السحرة والمشعوذون المستفيدين من ذلك في ابتزاز المرضى مالياً.

ثانياً: العادات الاجتماعية في الإمارة الكسادية:

أ) العادات القبلية:

ترتبط العادات الاجتماعية في اليمن بالسلم المراتبي للمجتمع، فهناك عادات اجتماعية مشتركة بين معظم الفئات الاجتماعية، وأخرى عادات خاصة بكل فئة اجتماعية تلتزم بها وتحافظ عليها، ويعود تنوع العادات الاجتماعية إلى تنوع الظروف الطبيعية في البلاد[١].

إن دراسة العادات الاجتماعية تساعد في التعرف على واقع السكان ونفسياتهم واتجاهاتهم وتاريخهم[٢]، ولأن الإمارة الكسادية كانت تحتل جزءاً كبيراً من حضرموت الساحل، فإن كثيراً من العادات القبلية والرقصات والأغاني الشعبية السائدة حين ذاك في المجتمع الحضرمي كانت منتشرة فيها، وأهم هذه العادات هي:

١- اللوم والشؤم:

وهي تقاليد قبلية مرعية بين القبائل، وفيها نوع من الشهامة والاحترام المتبادل، فإذا ارتكب أحد أفراد القبيلة عملاً واعتبرته من وجهة نظرها عملاً شائناً فإن العار واللوم يلحق بالقبيلة كلها، ولا يمكن أن يتم غسله إلا بالدم، فاللوم يقع على القبيلة إذا قام أحد

(١) الحوالي: اليمن الخضراء مهد الحضارة، المرجع السابق، ص٣٦.
(٢) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٤١.

أفرادها بواحد من الأفعال الآتية:

أ- إذا قام فرد من القبيلة بحماية شخص آخر فإنه يصير تحت حمايته، ولا يجوز التعدي عليه؛ لأن التعدي يعتبر عملاً شائناً من وجهة نظر القبيلة ولا يغسله إلا الدم.

ب- إذا كان القبيلي موجوداً في قبيلة أخرى وصادف هجوماً عليها فإنه يتعين عليه أن يقاتل معها حتى مغيب الشمس.

ج- إذا حضر القبيلي مجلساً فلا يمكن لقبيلي آخر أن يعتدي على من دونه؛ لأنه يعتبر لوم وشؤم على الحاضر في المكان لا يغسله إلا الدم إذا لم يدافع عن المعتدى عليه.

د- إذا عاب القبيلي فيمن أبدى لهم بوجهه، فإن اللوم يلحق القبيلة ولا يرفع ذلك إلا الوفاء وإعادة ما أخذه، وإذا كان العيب جريمة قتل فإن قبيلته مُلزمة بتسليمه أو قتله أو نبذه وطرده من القبيلة[١].

٢- الوجه:

وهي عادة الغرض منها كان حماية شخص معين أو طريق، ويقوم فيها أحد أفراد القبيلة برفع سبابته ويضعها على جبينه أمام الموعود بالحماية قائلاً:(في وجهي)، أو (بديت لك بوجهي)، أو (شليت لك بوجهي)، وبذلك يصبح القبيلي وقبيلته حامين لما وعدوا به، ولا

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٤٤. الصبان: عبدالقادر محمد، لمحة من تاريخ البادية، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص٥٦، ٥٧.

يمكن لهم التفريط في ذلك[١].

٣- العربون:

وهي عادة ممارسة التحكيم بين القبائل والأفراد، فإذا وقع نـزاع بين طرفين ورضي الطرفان بالتحكيم لحل هذا النـزاع فإن كل طرف منهما يقدم سلاحاً للمحكم الوسيط بينهما كضمان على استعدادهما لقبول قرار التحكيم، ولا يعاد العربون لصاحبه في حالة رفضه لقرار التحكيم؛ لأنه يعني عدم القبول بالصلح[٢].

٤- الوثور:

وهي جمع وثر، وهي قطعة الأديم التي كان يكتب عليها، وهي الحجة التي يكتبونها في أمورهم المهمة من تحالف وحماية، والغالب في الوثور أنها تبرمها القبيلة كلها ويمضي عليها رؤساء الأفخاذ كل عن فخذه[٣].

وإلى جانب هذه العادات القبلية هناك عادات أخرى سيئة كعادة الثأر، وأخرى حسنة كالكرم والشجاعة، ومعظم هذه العادات تمارسها القبائل في المناطق التي تكون فيها الحكومة غائبة عنها، وفي عهد الإمارة الكسادية نجدها موجودة خارج مدينة المكلا عاصمة الإمارة الكسادية حيث لا يوجد الحكام والقضاة والجيش الذي يفرض الأمن والنظام.

---

(١) الصبان: لمحة من تاريخ البادية، المرجع السابق، ص ٥٠.
(٢) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٤٥.
(٣) الصبان: لمحة من تاريخ البادية، المرجع السابق، ص٥٠، ٥١.

ب) الرقصات الشعبية في الإمارة الكسادية:

تعدّ الرقصات الشعبية في حضرموت جزءاً من العادات الاجتماعية، وقد تمت ممارستها منذ القدم لارتباطها بحياة الإنسان، والإمارة الكسادية كغيرها من سائر أنحاء حضرموت مارس سكانها الكثير من الرقصات الشعبية حيث لا يزال سكان حضرموت يمارسون هذه الرقصات الشعبية إلى اليوم منها:

١- رقصة الغية:

ويقوم بها الرجال في صفين متقابلين، وبإيقاع وغناء ورقص بالأكف، وتدخل الراقصة (البدوية) بثوب مزركش وخلاخل وأساور إلى وسط الصفين، ويقابلها الراقص ويمشي إلى الخلف تحت إيقاع الطبول والراقصة تتبعه ويكرر ذلك الراقصون الآخرون[١].

٢- رقصة الشبواني:

وهي رقصة الحرب والسلم وهي مسيرة العدة (فرقة الطبول)، وتبدأ الرقصة عقب حفظ مقطع من الشعر وترديده، وفيها يقف الرجال في صفين متقابلين تتوسطهم العدة، ويتماسك اللاعبون بأيديهم، ويغنون على إيقاع الفرقة، ثم يثبون إلى الساحة تارة، ويعودون إلى مواقعهم في الخلف تارة أخرى، بحركة رياضية خاصة لا يتقنها إلا الراقصون المتمرسون[٢]، وتمارس هذه الرقصة في المكلا، والحامي،

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٤٥، ٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٦. السقاف: جعفر محمد، لمحات من الأغاني والرقصات الشعبية في حضرموت، دار الفارابي، بيروت، بدون تاريخ، ص١٠.

والديس الشرقية، وروكب، وبروم .

٣- رقصة الدحيفا:

وهي رقصة جماعية تخصص فيها دائرة للراقصين، ويصحب الرقص غناء جماعي على إيقاع يُدعى (الهبيش)[١]، وتمارس في وادي دوعن.

٤- رقصة الدربوكا:

وهي رقصة يقوم بها الصيادون على ساحل البحر وفي مناسبات خاصة، فيصفق اللاعبون جلوساً على ركبهم في دائرة واسعة، تجلس في مقدمتها الفرقة المكونة من عازف (سمسمية)، وثلاثة إيقاعات مختلفة (دنابق)، اثنين ملزمين بإيقاع التمسيك، بينما تكون مهمة الثالث هي التخريط، وهي عملية تلوين الإيقاع حيث يقوم عازف السمسمية بالغناء شعراً، بينما يرقص الجميع بأكفهم[٢]، وتمارس هذه الرقصة في كل مناطق حضرموت الساحل.

٥- رقصة الكاسر:

ويقوم بها ملاحو السفن الذين يمخرون عباب البحر ويسافرون بسفنهم الشراعية في رحلات تجارية طويلة، وهي رقصة جماعية معبرة تضرب فيها الدفوف وهي الطيران، والمراويس، والصاجات، تحت نغم السمسمية[٣]، كما تمارس هذه الرقصة في مناطق حضرموت الساحل.

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الإجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص ٤٦.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٦.
(٣) المرجع نفسه، ص٤٦.

ج) الأغاني الشعبية في الإمارة الكسادية:

١- أغاني المشعال والكمبورة:

وهي رقصة يمارسها الرجال والنساء[١]، وارتبطت بعودة الملاحين والبحارة والمسافرين، وتكون في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة في كل عام، في الديس الشرقية والحامي، وقد اندثر المظهر التراثي الأقدم للمشعال[٢] كمجسم للتعبير عن فولة (نجاة أو سلامة الملاحين) من الموت[٣] .

٢- أغاني التكوير:

التكوير يعني دفع الزوارق إلى مياه البحر إيذاناً ببداية العمل، ويتخلل أداءه غناء صوتي يختتم بتخميسة (اللحن) الختامي الذي يردده البحارة وهو (شيله... يا شيله)[٤] .

٣- أغاني الطلوع إلى البحر:

وتُغنى على إيقاع الصوت الذي يحدث بانتظام عند استخدام المجاديف لتحريك القوارب فوق سطح البحر خلال عملية التجديف، فيبدأ الصيادون بعبارة: (هيله الله شي)، ثم يردد أحدهم أبيات مسجعة

(١) كان للأطفال والشباب والنساء مشاعيلهم وكنابيرهم، إلا أنه تم إيقاف كمبورة النساء بعد عام ١٩٩٤م.

(٢) حل محل المشعال مجسم السفينة الحربية والقلعة، وذلك تعبيراً عن قوة المواجهة مع القراصنة وتخليداً لذكرى تلك المواجهات.

(٣) محروس: مكانة أهل الديس في الملاحة والتجارة البحرية، المرجع السابق، ص٢١.

(٤) الجوهي: إمارة آل بن بريك في الشحر، المرجع السابق، ص٧٣.

تناسب ذلك النغم، أما أغنية (هيله لقدوم) فتُغنى عند توجههم داخل البحر إلى جهة معينة، تليها أغنية (هلي يا نوش) أو (هيلا نونيش) وتُغنى عند تعمقهم داخل غبة البحر استعداداً للصيد[١]، وتُستخدم هذه الأغاني في كل المناطق الساحلية بالإمارة الكسادية.

٤- أغاني العودة من البحر:

وتُغنى عند عودة الصيادين من البحر إلى البر حيث تغني مجموعة منهم (هيلى على البر)، وتغني المجموعة الثانية (هيلي يروينا)[٢] .

٥- أغاني التجلوب:

وتُغنى باجتماع النساء في الأمسيات أمام أحد البيوت في الحامي والديس الشرقية، وهو نوع من الابتهال بعودة المسافر الذي طالت غيبته[٣] .

٦- أغاني السناوة:

وهي من أغاني الفلاحين الشعبية في تمرير الوقت، ويقوم بها الفلاحون أثناء سحب الماء من الآبار بواسطة الدلو[٤]، ولا تنتشر هذه الأغاني كثيراً في أرياف حضرموت الساحل لاعتمادها في عملية الري على المعايين، ولكنها تُغنى في فوَّة، ووادي دوعن، وبعض القرى

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٤٧.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.
(٣) محروس: مكانة أهل الديس في الملاحة والتجارة البحرية، المرجع السابق، ص٢١.
(٤) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٤٧، ٤٨.

المحيطة بمدينة المكلا كالحرشيات وثلة والبقرين من أراضي الإمارة الكسادية، وهناك أيضاً أغاني خاصة بالتأبير (تلقيح النخيل)، وأخرى خاصة بالحصاد، وصناعة الجير، إلى جانب أغاني العمل الحرفي المختلفة، والأغاني التي تمارسها المرأة أثناء تأدية أعمالها في المنزل، فضلاً عن التوشيحات الدينية، وأغاني الدان الشعبي[١].

ويلاحظ الباحث أن الرقصات والأغاني الشعبية المنتشرة في الإمارة الكسادية تتشابه في أغلبها مع رقصات وأغاني سكان بقية مناطق حضرموت الساحل، ولعل ذلك يعود إلى الأسباب الآتية:

أ- الترابط الأسري بين سكان المدن والقرى الساحلية .
ب- أن سكان المناطق الساحلية غير الكسادية يمارسون نفس المهن التي يمارسها سكان المناطق الساحلية في الإمارة الكسادية .
ج- التشابه في الطبيعة الجغرافية لهذه المناطق الساحلية .
د- تشابه عادات وتقاليد سكان هذه المناطق.

كما أنه لا يمكن أيضاً أن نغفل دور التواصل الثقافي مع بلدان شرق إفريقيا والهند والخليج العربي عن طريق التجارة والملاحة البحرية، حيث أدى ذلك إلى إحداث بعض التأثير على إيقاعات الرقصات والأغاني الحضرمية، بل إن بعض الرقصات الحضرمية مأخوذة من تلك البلدان، وكان للمهاجرين الحضارم دور أيضاً في نقل بعض الرقصات والأغاني إلى البلدان التي استقروا فيها.

---

(١) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت، المرجع السابق، ص٥٨.

المبحث الثالث

المظاهر العمرانية في الإمارة الكسادية

أولاً: التطور العمراني في مدينة المكلا:

اهتم الكساديون بتطوير مدينة المكلا من الناحية العمرانية، فعملوا على منح الأراضي السكنية للمواطنين لإقامة مساكن لهم عليها بدون مقابل[١]، وبذلك شهدت مدينة المكلا عاصمة الإمارة في بداية النصف الثاني للقرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي توسعاً عمرانياً[٢] بعد أن كانت مساكنها قبل قيام الإمارة الكسادية فيها تتكون من أكواخ للصيادين، ففي أواخر عهد النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي حدثت نهضة عمرانية في مدينة المكلا التي كان عمرانها محصوراً في منطقة اللسان الأرضي امتد فيها العمران من اللسان الأرضي باتجاه الشريطين الساحليين الواقعين على جانبي اللسان، وبخاصة الشريط الساحلي الغربي لاتساعه مقارنة بالشريط الساحلي الشرقي الضيق، غير أن التوسع الذي شهدته المكلا خلال تلك الفترة لم يكن يمتد لأكثر من كيلو مترين في الناحية الغربية من قصر النقيب الكسادي الواقع في ذلك اللسان، حيث أُقيم في نهاية العمران سور صغير ذو بوابة يمتد بعرض الشريط الساحلي من ساحل البحر جنوباً إلى أسفل الجبل شمالاً لحماية المدينة من الناحية الغربية[٣].

---

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، المرجع السابق، ص١١٧.
(٢) انظر خريطة التوسع العمراني في عهد آل كساد في الملحق رقم (١٩)، ص٤٤٧.
(٣) الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٤٠، ٤٩.

ويشير المؤرخ سعيد عوض باوزير في حديثه عن التطور العمراني في مدينة المكلا قائلاً: «وهكذا أصبحت المكلا الميناء الثاني بعد الشحر من حيث الأهمية وقوة التجارة، وطفق الناس الذين فضلوا الإقامة بها يبنون بيوتهم محترمة ومرتفعة، تتكون من عدة طبقات... إلخ»[١]، وقد بنيت هذه البيوت بالحجر والنورة، أو من الطين (اللبن)، وتصل في ارتفاعها إلى أربعة وخمسة طوابق، ولا يزال بعضها قائماً إلى اليوم.

وفي عهد الإمارة الكسادية تم بناء حارتين[٢] الأولى هي حارة (البلاد)[٣] في منطقة اللسان البري الذي يمتد في البحر من الشمال إلى

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٢) انظر خريطة مدينة المكلا بين عامي ١٨٤٠- ١٩٤٠م الملحق رقم (٢٠)، ص٤٤٨.

(٣) تنقسم حارة البلاد إلى ثلاثة أقسام هي: البلاد وتقع على طرف اللسان البري بمحاذاة البحر وتمتد من الناحية الشمالية حتى سور مقبرة يعقوب، ويسكنها في الغالب عائلات ذات أصول هندية، ومجموعة من الصيادين، والتجار، والبحارة. والقسم الثاني من البلاد هو الوسط وسمي بذلك؛ لأنه يتوسط الأقسام الثلاثة، وتبدأ حدوده من حيث تنتهي حدود القسم الأول (البلاد)، وأغلب سكانه من الصيادين الذي يمارسون مهنة صيد الأسماك. أما القسم الأخير فيُعرف بـ(حافة العبيد) وهي المنطقة التي كانت تتم فيها عملية بيع الرقيق، وتقع بجوار مسجد (الغالبي) الواقع على الطرف الشرقي في هذه الحافة والمواجهة لمنطقة خلف، حيث كان ينزل الرقيق فيها، وقد سميت بـ(فرضة الحطب)؛ لأن السفن التي تجلب الأخشاب من إفريقيا ترسو فيها أيضاً، وهناك من قسّم حارة البلاد إلى خمسة أقسام وهي حافة الهنود، وحافة بازرارة، وحافة النوبة، وحافة الوسط، وحافة العبيد، وفي رأي الباحث يعد التقسيم الأول هو الأقرب إلى الصواب.

الجنوب، حيث يحدها من الجنوب والشرق البحر، ومن الغرب البحر والميناء القديم لمدينة المكلا (الفرضة)، ومن الشمال دار كندر مروراً بالسيلة[١] والجابية[٢]حتى مكان مقهى الجيب اليوم.

وأما الحارة الثانية التي بنيت في عهد الكساديين فهي حي (الحارة)[٣] والتي يحدها من الشمال الجبل (قارة المكلا)، ومن الجنوب البحر ومنطقة السيلة والجابية ومكان مقهى الجيب اليوم، ويحدها من جهة الشرق صخرة كبيرة كان يتم دائماً طلاؤها بالجير الأبيض، وهي تقع بالقرب من بيت كندر وبيت الهدار وبيت باصالح، أما حدها الغربي فهو السور القديم للمكلا وبتحديد أدق ضريح علوية الذي لا يزال موجوداً إلى اليوم تحت مسجد عمر بالمكلا، وكان سكانها من الصيادين والتجار المنقولين من مناطق وادي حضرموت وخاصة من دوعن، بالإضافة إلى عدد من الأسر اليافعية[٤] .

ثانياً: التطور العمراني في قرية الحامي:

اهتم الكساديون أيضاً بعمران قرية الحامي الواقعة على شاطئ

(١) مسيال مياه الأمطار الممتدة من حافة العبيد حتى الجابية، ولا تزال تعرف بهذا الاسم حتى اليوم.
(٢) الجابية: وهي مقر دوار الدلة اليوم.
(٣) سميت الحارة بهذا الاسم؛ لأن هذه المنطقة قبل أن تصبح آهلة بالسكان كان يوجد بها مكان للحياكة يسمى (حرة آل بروق) الذين كانوا ينسجون الملابس في هذا المكان المسمى (الحرة)، وكانت تبعد بعض الشيء عن حارة البلاد ولم يمتد إليها العمران، وكان الناس يذهبون إليها في فترة العصر لتمضية الوقت، ومع مرور الزمن تم استبدال كلمة الحرة بالحارة على طريق التخفيف.
(٤) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص٢٥، ٢٦.

البحر حيث كان يصعب على الإنسان في السابق رؤيتها من البحر، وتعرف بالبلاد الفوقية، ويعود الاهتمام الكسادي بالحامي باعتبارها منطقة الاستقرار الأولى للأسرة الكسادية بعد قدومها من يافع وقبل استيلائها على مدينة المكلا وتكوين الإمارة الكسادية فيها، كما يوجد بقرية الحامي أيضاً مجموعة من الكساديين حيث كان بعضهم نواباً على قرية الحامي والديس الشرقية من قِبل الدولة الكثيرية، وقد استأثروا بحكمها بعد ضعفها، ثم استولوا عليها نهائياً بعد سقوط هذه الدولة في عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، وقد قام الكساديون في الحامي ببناء العديد من المنشآت والبيوت والمساكن المجاورة لمسجد الجامع .

ومن مميزات المباني الساحلية في قرية الحامي أنها كانت متلاصقة مع بعضها البعض، وشوارعها طويلة بحيث يمكن للمرء الانتقال من مسكن إلى آخر دون المرور بالشارع، وارتبطت منازلها المتلاصقة بفتحات صغيرة في جدرانها يتبادل السكان والجيران عبرها المنافع المختلفة[١]، وقد استوطنها الأهالي في عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م تقريباً بعد نـزوح الأهالي من البلاد الفوقية (عطار) التي تبعد عنها بمسافة كيلو مترين ونصف تقريباً[٢].

ثالثاً: أبرز المظاهر العمرانية في الإمارة الكسادية:

ومن أهم المظاهر العمرانية في الإمارة الكسادية هي المساجد

(١) الملاحي: عبدالرحمن عبدالكريم، نبذة تاريخية عن مدينة الحامي، مكتبة المؤلف، ص٢.

(٢) باهارون: شذرات من تاريخ الحامي، المرجع السابق، ص٢. والملاحي: المرجع نفسه، ص٢.

والقصور والقلاع والحصون والأسوار .

أ- المساجد:

١- مسجد الروضة: وقد قام ببنائه في عام **١٢٥٠**هـ/ **١٨٣٤**م أبو علامة وهو السيد عمر بن علي بن الشيخ بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى في مدينة شبام عام **١٢٧٨**هـ/ **١٨٦١**م، وقد ساعده في ذلك الأهالي بالعمل والأموال، كما ساهم في بنائه أيضاً أصحاب السفن من عُمان[١]، وكان المسجد يقع على البحر مقابل ميناء المكلا القديم، ولا يزال قائماً في مكانه بالرغم من تغيير معظم المعالم المحيطة به .

٢- مسجد نور البلاد: ويقع على شاطئ البحر بالقرب من ميناء المكلا القديم من الناحية الجنوبية، وتاريخ بنائه غير معروف، ولكن بنائه في عهد الإمارة الكسادية .

٣- مسجد بازرارة: ويقع في الطرف الجنوبي القريب من البحر في حي البلاد، وهو مسجد صغير يأتي مباشرة بعد مسجد نور البلاد من الناحية الشرقية، وقد بُني في بداية عهد الإمارة الكسادية، ويقال أن الإمامة فيه كانت لأسرة باحاتم[٢]، ويعد أول مسجد يقام في المكلا في عهد الإمارة الكسادية، وهو صغير جداً إذ لا تزيد مساحته عن **١٠٠** متر مربع تقريباً .

---

(١) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١٣٥. الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، المرجع السابق، ص٨٦.

(٢) مقابلة شخصية مع أحمد باداؤود شيخ مسن (٨٠ عاماً) بتاريخ ٢١/٦/٢٠٠٧ م.

٤- مسجد الجامع بقرية الحامي: وقد قام ببنائه سالم أحمد بن عبدالرحمن الكسادي عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م، وحفر له عيناً من الماء عرفت بـ(عين أبي سالم)، وأوقفها على المسجد[١]، ويقع المسجد عند مدخل قرية الحامي[٢].

ب- القصور:

وأشهرها القصر الكسادي المعروف بـ(حصن الكسادي) في مدينة المكلا بالقرب من الميناء القديم مقابل الركن الجنوبي الغربي لمقبرة يعقوب، وقد بنيت إلى جانبه بعض المباني العامة للإمارة الكسادية وبعض المساكن الشخصية[٣]، ويتكون القصر[٤] من أربعة طوابق، وسطح مرتفع، وكان مبنياً من الحجر[٥]، ومطلي من الخارج كله بالنورة.

كما قام الكسادي أيضاً في عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ببناء قصر آخر قريب منه عرف باسم (بيت السعادة)، وكان أول من نـزل ضيفاً على الإمارة الكسادية فيه هو السلطان عوض بن عمر القعيطي عندما جاء معزياً بوفاة النقيب صلاح بن محمد الكسادي في عام ١٨٧٣م[٦].

---

(١) الملاحي: نبذة تاريخية عن مدينة الحامي، المرجع السابق، ص٢.
(٢) انظر صورة لمسجد الجامع في الملحق رقم (٢٣)، ص٤٥١.
(٣) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٣.
(٤) انظر صورة لقصر آل كساد في الملحق رقم (٢٢)، ص٤٥٠.
(٥) تقف مكان القصر اليوم مدرسة ابن خلدون للتعليم الأساسي.
(٦) التميمي: أحمد سعيد، المكلا سندريلا البحر والفرح، ٢٠٠٦ م، ص٢٣.

ج- القلاع والحصون:

بنى الكساديون عدداً من القلاع الدفاعية في مدينة المكلا، منها أربع قلاع فوق الجبل المطل على المدينة للمراقبة والدفاع عنها من الهجمات البحرية، وقد بنيت بشكل مستطيل، ولها تخطيط عمراني واحد، وهي مبنية من الحجر والملاط والقصارة، وطليت بالنورة البيضاء، وفي كل قلعة منها توجد بوابة واحدة تتصل بدرج الدور الأول الذي توجد فيه فتحات صغيرة تسمح بإدخال البندقية وبالرؤية لمشاهدة الهدف الذي يرصده المراقب[١]، كما قام الكساديون أيضاً ببناء ست قلاع صغيرة في قرية الحامي[٢] على السلسلة الجبلية[٣].

أما الأسوار فقد بنى الكساديون سوراً حول مدينة المكلا من الحجر البازلتي الأسود والنورة، بطول ١٥٠ متراً، وعرض متر واحد، وبارتفاع يزيد عن ٥ أمتار، ويمتد من الجنوب إلى الشمال، وكانت بدايته من مقر (النوبة) في النقطة المحاذية للبحر مباشرة، ويمتد شمالاً باتجاه الجبل ماراً ببيت (بن زيد) الذي يقع بالقرب من المكتبة السلطانية حالياً، وتتوسط السور بناية مستطيلة بنفس طوله وارتفاعه، وتقع في جوانبها أبراج الحراسة، ويوجد في الوسط باب خشبي ذو درفتين (السدة)[٤].

---

(١) باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٣٤.
(٢) جميع هذه القلاع الست اندثرت ولم يعد لها أثر.
(٣) الملاحي: نبذة تاريخية عن مدينة الحامي، المرجع السابق، ص١.
(٤) الخنبشي: حارات المكلا، المرجع السابق، ص٢٨. باوزير: موانئ ساحل حضرموت، المرجع السابق، ص١٢٣. الخضر وبن بدر: المكلا عروس البحر الحضرمية، المرجع السابق، ص٤٩.

كما بنى الكساديون عدداً من الحصون الدفاعية في مدينة المكلا وخارجها لصد الهجمات الخارجية على الإمارة الكسادية، ومن أشهر هذه الحصون هي:

- **حصن الغويزي**[١]:

ويقع في المدخل الشمالي لمدينة المكلا، وقد تم بناؤه في عام ١١٢٩هـ/١٧١٦م على صخرة تطل على الطريق المؤدية إلى المدينة، وهو حصن دفاعي أولي في صد الغارات على مدينة المكلا من جهة الشمال، ويتكون الحصن من طابقين، يوجد في الطابق الأول عدد من الحجرات، وعلى جدرانه الخارجية نوافذ في جميع الاتجاهات، أما الطابق الثاني فيتميز بنوافذه الواسعة، ويحاط سطح الحصن بحاجز يصل ارتفاعه إلى ١,٥متر، وتحيط بالحصن قناتان للمياه من الجهتين الجنوبية والغربية منه مبنيتان من الأحجار والقضقاض، ويوجد على مقربة من الحصن صهريج يحفظ المياه[٢].

- **حصن الكساديين في الديس الشرقية:**

بنى الكساديون هذا الحصن في الديس الشرقية، ولكنه تهدم، ويقع هذا الحصن في السوق القديمة لمدينة الديس اليوم بالقرب من

---

(١) الغويزي: يقال بأنه ينسب إلى أحد الحراس في الماضي ويُدعى سعيد الغويزي الذي عمل فترة زمنية طويلة في الحراسة به عندما كان الوادي عامراً بالزراعة قبل ٣٠٠ عام، ويقابل حصن الغويزي في الجهة الأخرى حصن القفل.

(٢) القلم: صحيفة اقتصادية وثقافية وإخبارية مستقلة، العدد (٢١) يناير ٢٠٠٩م، ص٧. التميمي: المكلا سندريلا البحر والفرح، المرجع السابق، ص٣٤، ٣٥.

سوق السمك حيث أقيمت في موقعه دكاكين تجارية[١].

- **حصن خازوق:**

ويقع على تل مرتفع في الجهة الشمالية على طريق مجرى وادي سديد إلى منطقة الحرشيات[٢]، وعند زيارة الباحث لموقع الحصن لاحظ أن هذا الحصن يسيطر على مساحة واسعة من هذه المنطقة وعلى الطريق المؤدي إلى مدينة المكلا بحيث يمكن مراقبة كل الداخلين إليها والخارجين منها، ولم يعد الحصن قائماً اليوم إذ لم يبق في الموقع سوى آثاره[٣]، وقد بُني الحصن من مادة اللبن، وبجانبه سور يبعد عنه بضعة أمتار، وحول هذا الحصن دارت معركة بين القوات الكسادية والقوات الكثيرية عندما حاولت الأخيرة الاستيلاء على مدينة المكلا عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، وفي هذه المعركة قال الشاعر الشعبي عمر باعطوة الذي كان يصاحب القوات اليافعية في الدفاع عن الحصن وعن المكلا قصيدة منها قوله المشهور:

على خازوق باروتنا بَيَّت وظلَّا ونفقنا البضاعة وسلمنا المكلا[٤]

ومن الحصون الأخرى التي بناها الكساديون في مدينة المكلا[٥]

---

(١) الحوثري: سعيد عبدالرب، مقابلة شخصية أجراها الباحث بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٩م في مدينة الديس الشرقية.

(٢) اليزيدي: الدولة الكثيرية الثانية، المرجع السابق، ص١٧٣.

(٣) انظر الملحق رقم (٢٤) وهي صورة لبقايا آثار حصن خازوق، ص٤٥٢.

(٤) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص١٧٧.

(٥) بعض هذه الحصون اندثرت ولم يعد لها أثر اليوم، ولكنها كانت موجودة إلى عهد قريب.

الحصن الواقع على جبل الغار الأحمر[١]، وحصن المشراف، والحصون الخمسة الواقعة على الطريق المؤدية إلى البقرين[٢].

❀ ❀ ❀

(١) جبل الغار الأحمر يقع على وادي العيقة من الناحية الغربية.
(٢) بامطرف: في سبيل الحكم، المرجع السابق، ص١٤٨.